دور قوافل العقيلات في إيجاد نفوذ تجاري للقصيم مع محيطه الإقليمي ١١٢٠هـ -١٣٧٠هـ - دراسة جغرافية -

د. أحمد محمد الشبعان (*)

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرفِ على الأحوال المعيشية في القصيم في فترة نشاط العقيلات، والتي منها أمكن الخروج بتصور عن دوافع هذه الرحلات، وبيانٍ للمحاور الجغرافية التي سلكهتا. كما تهدف إلى الوصول للتحديات الجغرافية التي واجهت هذه الرحلات، كما لم تغفل إبراز جوانب من تأثير العقيلات على الحياة في القصيم .

وتأخذ هذه الدراسة أهميتها بوصفها دراسة في الجغرافية الاقتصادية؛ لكون سبب بداية انطلاقها فقر البيئة الصحراوية بالموارد، كما أن توقف هذه الرحلات كان لأسباب اكتشاف النفط؛ وعليه لم يعد هناك حاجة لاستخدام الإبل كوسيلة نقل. ومما يزيد قيمة البحث أنه لا يجود حسب علم الباحث دراسة جغرافية تناولت (العقيلات).

وحدود هذه الدراسة بشرياً محصور في تجار القصيم من (العقيلات)كما أن حدودها طبيعياً محصور في المناطق التي اخترقتها الطرق التجارية. واقتصرت الدراسة على التبادل التجاري العالمي دون الداخلي. أما زمنها فيمتد إلى ٢٥٠ سنة تقريباً، ابتداء من ١١٢٠هـ وانتهاء بـ ١٣٧٠هـ .

وانحصرت مشكلة الدراسة في الضرورة التي دعت إلى إنعاش الحياة الاقتصادية في القصيم من خلال خلق مجال حيوي في المحيط الإقليمي. وفي الوصول إلى نتائج علمية؛ أستفيد من عدة مناهج، منها التاريخي لتتبع تطور (رحلات العقيلات)، والمنهج الوصفي لمعرفة مسالكها الجغرافية، وختمت الدراسة ببعض النتائج والتي من أبرزها أن الزراعة في القصيم في تلك الفترة غير مشجعة نتيجة للتكاليف الباهظة، وكان يتحكم في سير الرحلات التوزيع الجغرافي لموارد المياه، ومدى جاذبية الأسواق الخارجية،كما مثلت الظروف المناخية والطبيعية عقبة في طريق القوافل، وفي نهاية الدارسة عُرِضَ عدد من التوصيات، منها أن تتوجه الهيئة الوطنية للسياحة بمتابعة إنشاء هيئة وطنية تعنى بتراث العقيلات، وأن يقوم المختصون بتسليط الضوء على جوانب علمية غير الجانب الجغرافي في حياة العقيلات لم تدرس، وأن يكون لدينا اهتمام جاد بترجمة مادة علمية باللغة الإنجليزية عن العقيلات تكون في متناول غير العرب من باحثين أو سياح.

(*) أستاذ الجغرافيا الاجتماعية المشارك- قسم الجغرافيا - جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية.

Abstract

This study attempts to introduce the living conditions in Qassim during the activity period of Aloqilat trade, from which we could have a perception about the motives of such commercial trips and the main geographical axes pursued. This study also aims to reach the most prominent geographical challenges faced by these trips. This study has not ignored to highlight the impact of Aloqilat on the life in Qassim.

The study is significant because it is economic geographical. The trips began due to the poor resources in the desert environment, and they were suspended due to the discovery of oil, which has resulted in using transport means other than camels. The study has growing value, because, there is no other research that has dealt with the study of Aloqilat trips.

This study is confined only to the traders of Qassim from (Aloqilat). It is also further delimited to the areas penetrated by commercial ways. It is also confined to the global commercial exchange, not the local commercial activity. These trips date back to 250 years starting from 1120 AH to 1370 AH.

The study problem is the necessity required to revive the economic life in Qassim with its poor resources through creating a commercial influence and a vital field in the regional surrounding. To reach valid scientific results, the researcher has taken advantage of several approaches, including the historical approach to follow the development of (Aloqilat trips) and descriptive approach to know its geographical ways.

The conclusion of the study is that the agriculture in Qassim at this period was not encouraging due to the high costs. The geographical distribution of water resources controlled completely the path of trips and feasibility and attractiveness of foreign markets. The climatic and natural conditions were an obstacle in the way of Aloqilat convoys.

The study draws to a close with several recommendations one of which is that the National Tourism Authority should seek to establish a national body concerned with the heritage of Aloqilat. The competent persons should shed light on scientific other than the historical and geographical aspects in the life of Aloqilat, which have not been studied yet. Furthermore, we should have a serious interest in translating scientific materials about Aloqilat into English, accessible to non-Arab researchers and tourists.

مقدمة

نتيجة لقلة الموارد في الصحراء ولضيق فرص العمل قبل اكتشاف النفط في شبه الجزيرة العربية، وسعياً في سبيل تأمين لقمة العيش انطلقت مجموعة من القوافل التجارية من القصيم إلى بعض الأسواق التجارية العالمية: كالبصرة ودمشق وغزة والإسكندرية وغيرها بهدف التصدير التجاري إلى الأسواق الخارجية والاستيراد ومنها. ولكون هذه القوافل تنطلق من منطقة فقيرة بالموارد الاقتصادية تجاسرت أن تشق منطقة جغرافية ذات تضاريس طبيعية صعبة ومتنوعة، تحت مناخ صحراوي جاف تندر فيه مصادر المياه، إلى جانب دوافع أخرى وعوامل بشرية مترابطة –سياية واقتصادية وغيرها- ساعدت في تشكل هذه الرحلات وانطلاقتها؛ كضرورة لإنعاش الحياة الاقتصادية بالقصيم، وذلك عن طريق فتح منافذ عالمية، وبسط نفوذ تجاري ومجال حيوي واسع؛ للبحث عن فرص اقتصادية لتحسين الوضع الحياتي لسكان القصيم، ويأتي هذا النوع من الدراسة منسجماً مع (الجغرافية الاقتصادية).

وتأخذ هذه الدراسة أهميتها -كدراسة جغرافية اقتصادية- من جهة أن سبب بداية انطلاق تلك الرحلات كان فقر البيئة الصحراوية بالموارد، ومن جهة أن موقع القصيم متوسط بين الأسواق العالمية وعلى طريق الحاج. كما أن تاريخ توقف هذه الرحلات كان لأسباب جغرافية في مقدمتها قيام الحدود الجغرافية، واكتشاف النفط الذي نتج عنه التقدم باستخدام وسائل النقل من سيارات وغيرها، وعليه لم يعد هناك حاجة لاستخدام الإبل كوسيلة نقل، إلى جانب ذلك نجد أن قوافل العقيلات تأخذ الصفة العالمية والمحلية في تحركاتها، بينما كانت نظيراتها من الرحلات التجارية الأخرى -كالرحيلي والجمالين- رحلات محلية داخل شبه الجزيرة العربية فقط، كما أن بعض تجار عقيل استقروا في تلك الدول وكونوا أسراً في العراق ومصر على وجه التحديد. ومما يعطي هذه الرحلات التجارية أهمية أنه بعد توقف نشاطها كتجار إبل وخيول بالدرجة الأولى سنة ١٣٧٠هـ استمر بعضهم في تجارة الصيرفة وتجارة العقارات، بل أصبحت مزاولة الأعمال التجارية بصمة على أبنائهم وأحفادهم من بعدهم، ومازال سوقا الإبل والتمر في (بريدة) يمثلان أكبر أسواق العالم في هذين المجالين؛ وشاهدين على ذلك، كما أن استمرار أحفادهم في المشاركة في سباقات الخيل العالمية دليل على الموروث المتجدد.

ومما يزيد قيمة البحث أنه لا يجود حسب علم الباحث دراسة جغرافية تناولت رحلات (العقيلات).

وعلى الرغم من أهمية هذه الرحلات في الدراسات الجغرافية؛ فإن الباحث لم يقف إلا على ندرة من الأبحاث الجغرافية المعاصرة التي تناولت هذا النوع من الدراسة؛ أما بخصوص قوافل (العقيلات)فلم يصل علمه إلى دراسة جغرافية

سابقة عنها، على ما لها من أهمية خاصة تماس النفوذ التجاري والحيوي الذي رسمه تجار عقيل، وتسعى الدراسة إلى إبرازه كعنصر أساسي في حل أزمة الفقر في بيئة القصيم، ولا سيما قلة الموارد، وعدم كفاية الموجود منها في تلك الفترة.

وحدود هذه الدراسة من الناحية البشرية محصور في تجار القصيم من (العقيلات) دون غيرهم من بقية تجار (العقيلات) من حائل وغيرها من مناطق المملكة، كما أن حدود الدراسة من الناحية الطبيعية محصور في المناطق التي اخترقتها الطرق التجارية وسلكها تجار القصيم، والأسواق التي قصدوها للتبادل التجاري مع أهلها، واقتصرت الدراسة على التبادل التجاري العالمي دون النشاط التجاري داخل الجزيرة العربية. أما زمنها فقد أمتد إلى ٢٥٠ سنة تقريباً، ابتداء من ١١٢٠هـ، وانتهاء بـ ١٣٧٠هـ وهو تاريخ توقف هذه القوافل. وعلى الرغم من دور العقيلات البارز في الأحداث السياسية، إلا أن هذه الدراسة ركزت على الجانب الاقتصادي لكونه الدافع الرئيس في انطلاق هذه الرحلات من القصيم، والدافع الرئيس إلى انقطاعها؛ حيث كان اكتشاف النفط سببا بارزا في ضعف جدواها، ثم في توقفها؛ نظرا لدوره الفعال في تحسن الأوضاع الاقتصادية لسكان القصيم.

- مشكلة الدراسة:

١- وتتبلور مشكلة الدراسة في بيان الضرورة التي دعت العقيلات إلى محاولة إنعاش الحياة الاقتصادية في القصيم الفقير بموارده الطبيعية من خلال إيجاد نفوذ تجاري ومجال حيوي في المحيط الإقليمي، وللخروج بتقييم لتجربة العقيلات في تكوين قوافلهم التجارية فلابد من الإجابة على التساؤلات التالية:

- التساؤلات:

١- كيف كانت الظروف الاقتصادية والسياسية في القصيم في فترة العقيلات؟
٢- هل هناك محاور جغرافية سلكها رجال عقيل للوصول إلى الأسواق الخارجية؟
٣- ما أبرز التحديات الجغرافية التي واجهتها هذه القوافل في أثناء الطريق؟
٤- كيف كان حجم نفوذهم في الأسواق العالمية التي قصدوها؟
٥- هل كان للعقيلات تأثير على حياة الناس في القصيم؟

- أهداف الدراسة:

١- التعرف على الأحوال المعيشية والسياسية في القصيم في تلك الفترة.
٢- بيان لأهم المحاور الجغرافية التي سلكها رجال عقيل للوصول إلى الأسواق الخارجية.
٣- الوصول إلى أبرز التحديات الجغرافية التي واجهت هذه الرحلات في أثناء الطريق.

٤- بيان للدور الذي لعبه رجال عقيل في الأسواق العالمية التي قصدوها.
٥- إبراز جوانب من تأثير العقيلات على الحياة في القصيم.

منهج الدراسة:

اتبعتْ هذه الدراسة عدة مناهج للوصول لنتائجها، وعلى سبيل المثال استُفِيدَ من المنهج التاريخي في تتبع تاريخ ومراحل تطور تجارة (العقيلات) بداية من تكوينها حتى أصبحت ذات دور فاعل في المجال التجاري، ثم توقفها، كما تمت الاستفادة من المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي للوصول إلى بعض الأسباب والحقائق التي تقف وراء سر تكوين قوافل تجارية انطلقت من بيئة صحراوية فقيرة بالموارد الطبيعية، لكنها تملك إرادة الإنسان.كما استفيد من المدخل الوظيفي الذي يأخذ في الاعتبار التطور التاريخي والتأثير البشري على الإنتاج أو التجارة؛ لتعميق الفهم ورسم صورة تفاعل الإنسان مع بيئته كجزء من المعالجة في حقل الجغرافيا الاقتصادية.

مصادر الدراسة وأدواتها:

اعتمدت مادة البحث على مصدرين رئيسين هما:

المرحلة المكتبية : وتتمثل في الاطلاع على كتب التاريخ وعلى الأخص ما كان معنياً بتاريخ أحداث الجزيرة العربية وكتب الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية وبخاصة نجد، وفي الاطلاع على بعض الوثائق المتوفرة في المتاحف – من مذكرات بعض من شاركوا في رحلات العقيلات، ومؤلفات من الشعر النبطي، وشروحه، ومعاجم الأسر والأماكن-.

المرحلة الميدانية:

تم اخيار أسلوب المقابلة الشخصية لبعض كبار السن ممن شارك في قوافل عقيل في أواخر نشاطها؛ "وأسلوب المقابلة يتيح للمجيب الحرية في الحديث بعمق ووصف شعوره حيال الموضوع، ويعطي للباحث فرصة في اكتشاف بعض الحقائق التي في ذاكرة المجيب ورصد سلوك المتحدث حيال الأحداث التي يسردها" (Cohen and anion,1996,p172) وعلى سبيل المثال لا الحصرتمت مقابلة: نواف الحليسي، محمد البشر، صالح الوهيبي، إبراهيم الحجيلان، عبد الله الهبدان. وأبرز الموضوعات التي كانوا يفضلون الحديث عنها هي: التحديات والصعوبات التي كانوا يقابلونها في أثناء الطريق وكيف تم التغلب عليها. (انظر أسئلة المقابلات في ملحق رقم(١).

الدراسة النظرية:

إن التكوين الطبيعي لمنطقة القصيم يظهر لنا وجود واحات زراعية وسط الصحراء يخترقها وادي الرمة الذي يرتهن جريانه بأمطار المدينة النبوية. فقبل اكتشاف النفط عاش سكان القصيم بين المخاطر الأمنية المهددة لوجودهم، ومخاطر الجوع والقحط في أرض صحراوية تكتنفها الرمال. ولفهم عقلية القصيمي المتحدية للصعاب لابد أن نحللها من خلال تناول بعض النظريات الاقتصادية والأمنية؛ لأننا بصدد نجاحات اقتصادية في بيئة خطرة. "ولأنك إذا اخترت التمدن في بيئة صحراوية ربما سيكون لذلك نتيجة قال عنها فريدك نينشه: لكي تجني من الوجود أجمل ما فيه عش في خطر" (النصار،١٤٣٧هـ،ص١).

في هذا المدخل النظري -ونحن بصدد تقييم الواقع الاقتصادي لمجتمع القصيم- لا بد أن نقف متسائلين كيف نجح هؤلاء التجار بمد جسور بين القصيم وعواصم حضارات تلك الفترة؟ ولا بد لنا –أيضا- من تحري مصادر المعلومة، وقد كان مصدرنا في بناء تلك الصورة هو تراث العقيلات المنقول بالمشافهة أو من النصوص الأدبية والوثائق والأحداث التاريخية، ولن تكتمل الصورة إلا بالإلمام بالعوامل الجغرافية المؤثرة في ذلك النجاح. وقبل الخوض في دورهم الفذ في تكوين القوافل التجارية كان من المتحتم علينا التعريف بهم.

فالعقيلات: هم مجموعة من تجار القصيم و"عقيل والعقيلات هذه الأسماء تطلق على كل من كان يزاول حرفة التجارة في ذلك الزمان، الذين يتاجرون بالإبل والخيول ويسافرون بها إلى بلاد الشام وفلسطين وسورية ومصر والعراق ويبيعونها في تلك البلاد" (الدغيثر، ١٤١٩هـ ص١٧١) والعقيلات اسم أطلق على جماعة من أهل القصيم تردد كثيراً على أسماع الناس خلال القرن الثالث عشر الهجري تجاراً للمواشي من الإبل والخيل، اتخذوا من الشام ومصر والعراق سكناً لهم يروحون ويغدون بقوافلهم ولم يكونوا ينتمون إلى قبيلة عربية واحدة، وإنما هم خليط من القبائل العربية التي تحضرت وسكنت منطقة القصيم والبلاد المجاورة لها" (المسلم، ١٤٠٩هـ، ص٤٠). "وعقيلات: جمع عقيل وهو تصغير عقال، والعقال هو حبل يشد به ذراع البعير، ومنه أيضاً العقال الذي يشد به الرأس" (المعارك، ١٤٢٦هـ،ص٤١) ولهذا نسبت إليهم هذه التسمية وليس كونهم ينتمون لقبيلة عقيل التي انقرضت قبل بدء تاريخ عقيلات القصيم، [إلا أن اللغة لا تعضد ما ذكره المعارك؛ فإن تصغير عقال: عُقَيِّل].

وترى هذه الدراسة أنه يقصد بهم : مجموعات من تجار حواضر القصيم خرجوا من المنطقة لنقص مواردها؛ قاصدين الأسواق الخارجية بهدف تحسين أوضاعهم المعيشية بعد رجوعهم للقصيم. وعلى الرغم من جزء منهم زاول

بعض الأعمال العسكرية أو أررشاد القوافل؛ إلا أن هذه الدراسة أرتكزت حول دورهم التجاري.

وعليه فإن هذه الدراسة تميل للمعالجة الاقتصادية بحكم أنها الدافع الرئيس لتحركات العقيلات، وأنها دراسة تنسجم مع فرع الجغرافيا الاقتصادية؛ الذي يمثل أحد الدراسات الجغرافية الهامة، حيث ساهم في تحليل كثير من الحقائق السكانية والعمرانية والعلاقات السياسية، ويمكن أن يقال في هذا الصدد: "إن الجغرافيا الاقتصادية تدرس في مجالها العام كافة أشكال إقامة الحياة ومشكلاتها، أي أنها تدرس كل ما هو مرتبط بحصول الإنسان على الغذاء وضرورات الحياة وذلك من أجل إشباع حاجة السكان الحياتية" (رياض وكوثر،١٩٧٣م،ص١٥-١٦). ولهذا فهي معنية بتحليل استخدام التروة الطبيعية، وانتاج السلع ونقلها للأسواق. وقد تطور مفهوم الجغرافيا الاقتصادية ليشمل مبدأ التفاعل بين البيئة الطبيعية والإنسان وبرز لدينا ما يسمى الإقليم الاقتصادي. من هنا فدراسة النشاط التجاري لرجال عقيل -من إنتاج محاصيل زراعية ومنتجات حيوانية في بيئة صعبة وتصديرها للأسواق العالمية، واستيراد مصنعات عالمية وإدخالها للسوق النجدي- تصب في صميم الدراسات الجغرافية الاقتصادية؛ لكونها تتناول ثورة اقتصادية، بل وتستدعي مزجها بفروع العلوم الأخرى كعلم تاريخ الحضارات سعياً لتفسير الظاهرة الجغرافية.

وسعيا في فهم هذا النوع من النشاط التجاري فإنه لا بد من إبراز الإشارات الأمنية والاقتصادية التي عني بها تجار عقيل لكي تنجح قوافلهم. وسوف تتناول هذه المقدمة النظرية شيئاً مهماً في الاقتصاد وهو (رأس المال-الأرض –العمل) كما يمكن إضافة المنظم، وهذه دلالات أولية تسمى في المجال الاقتصادي عناصر الإنتاج. كما لا ننسى -ونحن نضع التاريخ مجال بحثنا- ألا نحاكم التجربة بغير زمانها. فمجتمع العقيلات فيه تجانس بين إرادة [تجارية، وعملية] ذات انتماء إلى هويته المنسوجة من الدين والعادات والتقاليد، فسكان حاضرة القصيم تعاهدوا على استراتيجية المصالح المشتركة منذ قرابة قرنين ونصف من الزمن انتهت سنة ١٣٧٠هـ.

ولا ننس في هذا الصدد أننا أمام واقع اجتماعي يلتزم بالعرف الاجتماعي الذي لم يولد بالصدفة وإنما جاء نتيجة مزيج من التحديات الأمنية والمخاطر البيئية. كما أن أخلاق هؤلاء التجار تستمد من البعد الديني والجذور العربية الأصيلة. فركيزة الأخلاق هي طاقة استمد منها رجال عقيل قوتهم في إعادة بناء الجماعة في مدن مثل: الكويت والزبير ودمشق. . . الخ، "ومن الطبيعي أن أي مجموعة مهاجرة في مجتمع غريب تحاول أن ترسم حول مجموعتها رابطا ثقافيا مستمدا من حضارتها؛ سعياً لحفظ هويتها" Rapport and (Dawson,1998,p55) وتتميز بالتعدد داخل الوحدة لكنها تتقاسم القيم وحقوق الأفراد والاحترام المتبادل" (سميث، ٢٠١٣، ص٢١٤) وهذا ما تم بين

أفراد عقيل من حيث تعاونهم في بلاد المهجر مع كونهم نسيجا من مختلف القبائل ومن مدن متعددة من القصيم، إلا أن رابطة الثقافة الموحدة فيما بينهم هي المسؤلة عن رسم هويتهم كما ذكر ذلك Castles and (Miller,1998,p37) بقولهم: "الحضارة هي اللاعب الأول في تشكيل الجماعة" بل امتد ذلك إلى تعاونهم مع أفراد المجتمع الجديد ليس للمصلحة الاقتصادية فحسب بل تعداه إلى الأعمال الخيرية وربط الصداقات والمشاركة في التنمية.

عوامل أزدهار تجارة العقيلات:

أولاً: مفهوم البضاعة.

يقول العبودي: "ومعلوم أن تبضيع البضاعة هو أن يدفع الشخص المقيم في بريدة مثلاً مبلغاً من المال الذي عنده لمن يشتري بضائع أغلبها الإبل والمواشي فيذهب بها إلى الشام أو مصر، وما تحقق من ربح يكون بينه وبين صاحب الدراهم مناصفة في الغالب "(العبودي، ١٤٣٠هـ، ص٤١٢) ويضيف الرواف "ليس لدينا أموال طائلة، لذا نأخذ من التجار الأموال فنضيفها إلى أموالنا ثم نذهب للبادية نشتري الإبل عندما تكون هزيلة، ويكون أصحابها بحاجة لبيعها، ليكتالوا من أثمانها، ثم تمكث الإبل في البادية بعد اخضرار الأرض للنمو والاعتدال فنعرضها في: دمشق، فلسطين، مصر ونبيعها بأثمان عالية، ثم نعود لشركائنا من التجار وندفع لهم أموالهم مع أرباحها، ونحتفظ بثلث الأرباح" (الرواف، ٢٠١٣م، ص٧١).

"حينما أتى محمد يونس بفكرة بنك جرامين الذي حصل بسببه على جائزة نوبل للاقتصاد فهو قد استبدل الرصيد النقدي بالرصيد الاجتماعي من أجل إقراض الموجودات الصغيرة وذلك لأن الصغار لا موجودات ولا نقد فائض لديهم، وهنا ما هو الفرق بين البضاعة وبنك جرامين؟ بنك جرامين استطاع تشييد إطار نظري ونموذج عمل لينطلق المشروع، ويمكن القول بأن نموذج البضاعة أكثر عدالة؛ لأن بنك جرامين قائم على القيمة الزمنية للموجودات، لكن البضاعة قائمة على القيمة الزمنية للأخلاق" (النصار، سبق ذكره، ص١٦-١٧).

ثم بعد ذلك تطورت ممارسات العقيلات الاقتصادية متأثرة بالعالم الخارجي ولحاجة السوق؛ لينتقل المجتمع من الائتمان الاجتماعي للائتمان النقدي، والأولى تحتاج لمصداقية وحرفية وثقة عالية، أما الائتمان النقدي فهو بحاجة للثقة بأن الأموال المودعة يمكن سحبها في أي وقت ومن أي فرع، أما المصرف فيستفيد من هذه الأموال عبر إقراضها لمشاريع أكبر. وهكذا لم تنقطع علاقة تجار عقيل بتحضر وتنمية القصيم حتى بعد توقف الرحلات التجارية بواسطة

الإبل، فقد تحول نشاطهم إلى إقراض مشاريع حيوية وعلى سبيل المثال يُذكر في هذا المقام إنشاء شركة كهرباء بريدة، والإسهام في شركة كهرباء الرياض وعرعر، ومحاولة بناء أجزاء من السيارات في بريدة. كما أسهمت هذه المصارف في إقراض وتطوير المزارعين في منطقة القصيم. فعلى الرغم من ثورة تدفق عائدات النفط التي هيمنت على السوق السعودية؛ إلا أن إشارات البنية المعرفية للمجتمع المحلي وثقافة العمل بقيت كأحد محركات التنمية في القصيم.

ثانياً: عقد الأحلاف (طوق أمني).

استفاد (العقيلات) من أهمية الموقع الجغرافي للمنطقة؛ فالقصيم تمثل نقطة انطلاق لطرق القوافل التجارية شرقاً وغرباً، حيث عقدوا الأحلاف مع القبائل التي تقع على الطرق الرئيسة- كقبيلتي حرب وعنزة- ليضمنوا سلامة قوافلهم".

فكانوا يقدمون الهدايا لهم بل كانوا في أحايين أخر يدفعون الضرائب مقابل تأمين مرور قوافلهم داخل أراضي بعض القبائل، وقد استفاد أهل القصيم من هذه الأحلاف فأصبحوا زعماء القوافل في الجزيرة العربية، سواء للتجارة أو الدلالة ونقل الحجاج "(الشريدة، ٢١٥م، ص٢٢). كما أنهم سعوا لتأمين مستقبلهم الاقتصادي كمزارعين في واحات تنتج التمور والقمح وغيره فهم بحاجة للأمن من هجمات الطامعين وقت جني المحصول خصوصاً في بداية تكوين المدينة. (والعقيلات) مؤسسة تجارية تمثل حلقة التواصل بين البادية والحاضرة، بل إن هناك تكاملاً اقتصادياً بينهم فيبيعون للبادية المحصولات الزراعية، ويشترون منهم في الدرجة الأولى السمن، وأحياناً يكون التعامل مقايضة سلعة بسلعة إذا شح المال لدى الطرفين، وهذه المصالح كفيله بأن تكون جواز سفر داخل أراضي أي قبيلة.

فكلا الطرفين بحاجة إلى الآخر كرؤية اقتصادية مستقبلية؛ فالبادية سعت للتحالف الأمني لحاجتها لمنتجات حواضر القصيم، يقول الرحالة هوبير الذي زار بريدة فيما بين (١٨٧٨-١٨٨٢م): "بريدة مركز تجاري كبير ولكنه لا يعرف أوج ازدهارها إلا خلال الأشهر الأربعة من السنة التي تلي قطاف التمر. في هذا الوقت غالباً ما نرى منتصبة خارج بريدة ما يربو على ألف خيمة بدو يأتون للتزود بالتمر والقمح والأرز" (هوبير، ٢٠٠٣م، ص٧٦) كما أن قوافل العقيلات تمر بأرض هذه القبائل وتدفع رسوما لبعضها مقابل الحماية لها.

ثالثاً: تحفيز عناصر الإنتاج.

بقي أن نعرف كيف استطاع هذا المجتمع أن يحفز عناصر الإنتاج في أرض تُعَدُّ -بالمقاييس المادية- طاردة، ولكن نحن أمام تجربة (المنظم) من

الناحية الاقتصادية، وهو أمير بريدة حجيلان بن حمد (١١٩٤-١٢٣٤هـ) فقد ذكر العمرو: " أن النظام الذي فرضه حجيلان لتوطين القادمين إلى بريدة من خارجها وذلك بسؤالهم عن سبب مجيئهم؟ فإن قالوا للعمل رد عليهم بأن أهل بلدنا أحق منكم بأعمال بلدهم، وإن قالوا جئنا لنسكن معكم؛ رحب بهم، ثم أعطى كل واحد منهم قطعة أرض لزراعتها دون مقابل" (العمرو، ١٤هـ، ص٢١٦) فهذا المنظم قد فرض السيادة على حلفائه حيث طرح مبادرة من أجل تفعيل العناصر المتبقية من الإنتاج وهي (الأرض والعمل ورأس المال) استطاع هذا المجتمع أن يزرع وينتج التمر والقمح وغيرها، وهذا مما سرَّع التمدن في هذه المدينة الناشئة نتيجة لقوى الإنتاج، يضيف النصار: "تلك المبادرة من الممكن أن تلين من قسوة الطبيعة الطبقية للمجتمع حيث إن النظام المعرفي لمِسَ أثَرَ المزيد من القوة بعد المبادرة، وبالتالي باتت وشائج العلاقة تتجاوز دائرة العائلة، أو الأسرة أو الجماعة إلى صيغة أخرى ترتبط بالمصالح المادية (النصار، ص١١)، كما أن من البوادر الرئيسة للمجتمع أنه بات لا يستهلك ما ينتج فحسب بل بدأ يُكوِّنُ لرأسماله فائضاً تراكمياً فذا مقارنة بمحيطه الجغرافي، هذا السبق لمجتمع بريدة بمنح أراضٍ للقادم إليها للعمل هو ما يُصْطلح عليه الآن ب«الاستثمار الأجنبي». كما أن موقع القصيم المتوسط بين شبكات الطرق البرية لم يكن له جدوى لولا حركات التبادل التجاري بين القصيم والسوق الخارجية.

رابعاً: تفاعل المجتمع مع الطبيعة:

إن تفاعل المجتمع المحلي مع الطبيعة يعطي إشارات جديدة عن النظام المعرفي له، وهذا يحتاج إلى مجهودات كبيرة للكشف عنه. فرَبَط رحلاته بالمواسم، ونوَّعَ المحصول الملائم للبيئة بأقل التكاليف، وابتكر طرق تخزين التمور وتجفيف اللبن، وصهر الشحوم؛ لتصديرها، كل ذلك إشارات على تكيف المجتمع وتفاعله مع بيئته، بل إن انتقال رجالات عقيل واستيطانهم في (الزبير) بالعراق لم يَلْقَ عناء في إيجاد التكيف مع تلك البيئات؛ لكونها تتقاسم مع القصيم بعض نواحي الشبه، كقسوة البيئة التضاريسية، وشدة الحرارة. علماً أن هذا المجتمع استطاع في وقت مبكر أن يجمع بين حرفتي (الزراعة والتجارة) في بيئة رعوية تحيط بها طرق تجارية غير آمنة، لأنه قبل التحدي، وتعايش مع واقعه، معتمدًا على القوافل التجارية.

الدراسات السابقة:

إن هذا النوع من الدراسات -كما ذكرت سابقاً- يجابه شحا في عدد الأبحاث التي تناولت جغرافية الرحلات، فضلا عن تناول (العقيلات) كدراسة جغرافية. ولهذا سوف نتعرض للمحاولات التي درست بعض الرحلات الأخرى لتشابه الطرح وأدوات البحث دون الموضوع، وكذلك سنتعرض لأهم المحاولات التي درست هذه (الرحلات) -وإن كانت من خارج الحقل الجغرافي- على أيديمؤرخين مهتمين برصد تاريخ المنطقة اعتمدوا في مصادر مادتهم العلمية على الوثائق التاريخية وكتب الرحالة وروايات كبار السن وملاحظاتهم الشخصية. ويمكن تصنيف أهم هذه المحاولات على النحو التالي:

أ- تناول إبراهيم (٢٠١٤م) العقيلات بدراسة مفصلة وعلى الخصوص الجانب السياسي لهم في كتابه (نجديون وراء الحدود) تتبع بالدراسة التاريخية سبب تسميتهم ودوافع هجرتهم من القصيم، وناقش دورهم العسكري وعلى الأخص في العراق، كما تعرض لدورهم الاقتصادي وكونهم ربطوا تجارة الشرق بالغرب. ومن أبرز نتائج دراسته أن رجال عقيل لهم دور فعال في رسم تجارة الجزيرة العربية في عصرهم، وأنهم جمعوا بين سمو الخلق والنجاح التجاري في بيئة صحراوية فقيرة.

ب-قدم النصار (١٤٣٧ه) في دراسته (عودة الإنتاج القصيمي مدخل ثقافي اقتصادي) تحليلاً فلسفياً اقتصادياً لعناصر الإنتاج لدى عقيلات القصيم، حاول أن يسقط بعض النظريات الاقتصادية المعاصرة على واقع تعاملات رجال عقيل مع السوق والعملاء ونوع البضائع في فترة نشاطهم التجاري في زمانهم الذي يسبق اكتشاف النفط. وتوصل في دراسته إلى أن هؤلاء الناس–على الرغم من صعوبة البيئة- تغلبوا على ذلك نتيجة لرصيدهم الأخلاقي وإبداعات المنظم صاحب القرار كما أنه استشرف مستقبلاً اقتصادياً واعداً للمنطقة بناء على معطيات نجاح رجال عقيل كنموذج صمد في بيئة صعبة.

ج-كما درس المسلم (١٤٠٩هـ) في كتابه (العقيلات) تطورهم التاريخي، ونشاطهم الاقتصادي ولكونه شاركهم في شبابه بصحبة والده فقد فصّل في تكويناتهم الاجتماعية وأخلاقهم. إلى جانب ذلك للمؤلف كتاب آخر(١٤٣٥) بعنوان (رحلتي مع العقيلات) وصف طريقهم من بريدة إلى الشام، ولم يخل وصفه من إيراد تجربته الشخصية بالتفصيل، أمكن الإفادة منها في معرفة بعض الصعوبات التي قابلها رجال عقيل في طريقهم للشام، كما تميز وصفه بإيراد جانب من حياة رجال عقيل في الأردن وفلسطين.

د- قدم السويداء (١٤١٦هـ) في كتابة (عقيلات الجبل) دراسة مستفيضة عن عقيلات حائل؛ ولطبيعة حائل الجبلية فقد سمى كتابه (عقيلات الجبل) تناول فيه تاريخ بداية عقيلات حائل حتى توقف نشاطهم، أولى تاريخ النشأة جل عنايته، كما فصل في نوع بضائعهم وصفاتهم وعاداتهم والقصائد التي قالوها.

هـ- وأما الحليسي (١٤١٧هـ) في كتابه تحت عنوان (عصر العقيلات) فلكونه أحد الذين ارتحلوا في شبابهم مع العقيلات؛ ولأن أسرته أسست شركة الحليسي لتجارة الإبل، صار شاهداً على أواخر ذلك العصر، كما أن تخصصه في الاقتصاد جعله على مقدرة في تقييم تلك التجارة من خلال عنايته بالأرقام التي قدرت حجم تجارة العقيلات، ثم إن إقامة المؤلف في مصر ساعدته على ذكر الأوضاع المعيشية بالتفصيل لتجار عقيل في مصر. ولهذا جاء كتابه في جزأين حافلين بهذه المعلومات.

و-وتتبع الشريدة (٢٠١٥م) في كتابه (العقيلات ودورهم التجاري مع الحجاز) تاريخياً هذا الدور منذ ١٢٦٣هـ وحتى ١٣٥٧هـ أي قرابة قرن من الزمن، استغرقت الأحداث السياسية والحروب في نجد معظم الكتاب، كما تعرض للأوضاع الاقتصادية كنتيجة لهذه الأحداث.

ز-كما خصص المعارك (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) دراسته عن ((عقيلات بريدة)) في كتاب مقتضب تعرض فيه لأسباب هذه الرحلات وطرق القوافل ومواسمها، كما ذيّل كتيبه بقائمة بأسماء أشهر رجال عقيل.

ح-أما الوهيبي (١٤٣٧) فإن كتابه عن العقيلات قد عُني بجمع الوثائق والصور عن تاريخ تجارتهم وتنقلاتهم.

ط-وجاء كتاب (الخيل في عهد العقيلات) للوهيبي (١٤٣٥هـ) معنياً بتاريخ مصور عن حياة العقيلات مع الخيل وسباقاته في دول المهجر.

من استعراض الدراسات السابقة التي تعرضت للعقيلات نخرج بنتيجة أن جميعها ذات طابع تاريخي، ماعدا دراسة النصار؛ حيث عنيت بالنظريات الاقتصادية المعاصرة محاولة إسقاطها في حياة العقيلات كطريقة علمية للخروج بتفسير تفوقهم الاقتصادي في تلك الحقبة. وقد انفردت دراسة المسلم والحليسي بكونهما تحملان تجارب شخصية لكونهما شاركا العقيلات في شبابهما مما طبع دراستهما بنقل التجربة، وإن كان المسلم اختص بالتفاصيل عن وصف الطريق بدقة عالية، فإننا نجد أن الحليسي قد خرج بنتائج وتحليلات اقتصادية من الأحداث التاريخية لكونه رجل أعمال،ومتخصصا في الاقتصاد الإسلامي.

أما هذه الدراسة الجغرافية العلمية فإنها جاءت كإضافةٍ، في محاولة جديدة من نوعها، تعالج " قوافل العقيلات" من واقع تحليل الحياة الاقتصادية في القصيم الفقير بالموارد، الذي دفع برجال عقيل إلى البحث خارج إقليمهم الجغرافي عن بدائل اقتصادية تحسن من واقع بيئتهم الطاردة، وهي حسب حدود علم الباحث أول دراسة جغرافية تتناول العقيلات؛ لتفسر لنا بعض أسباب بقاء ونماء تفوق تجاري في بيئة صحراوية طاردة، لم يهجرها أهلها بالكلية؛ وإنما رسموا خط رجعة لرحلات موسمية مع العالم الخارجي، وربطوا البحر بالصحراء وحققوا اقتصادًا ماليًا وثقافيًا كان من أسباب انتصارهم على تحديات بيئتهم القارية، وتكيفهم في بيئات حاضنة أسهموا حتى في رسم اقتصادها.

هذا وقد جاءت الدراسة على النحو التالي:

أولاً: العوامل الطبيعية:

١- الموقع الفلكي والجغرافي:

يقع القصيم في الجزء الشمالي الأوسط من المملكة العربية السعودية (شكل١)، ويحد القصيم من جهة الشمال (منطقة حائل ومنطقة الحدود الشمالية) ومن الجنوب والشرق (منطقة الرياض) ومن الغرب (منطقتا المدينة المنورة وحائل)

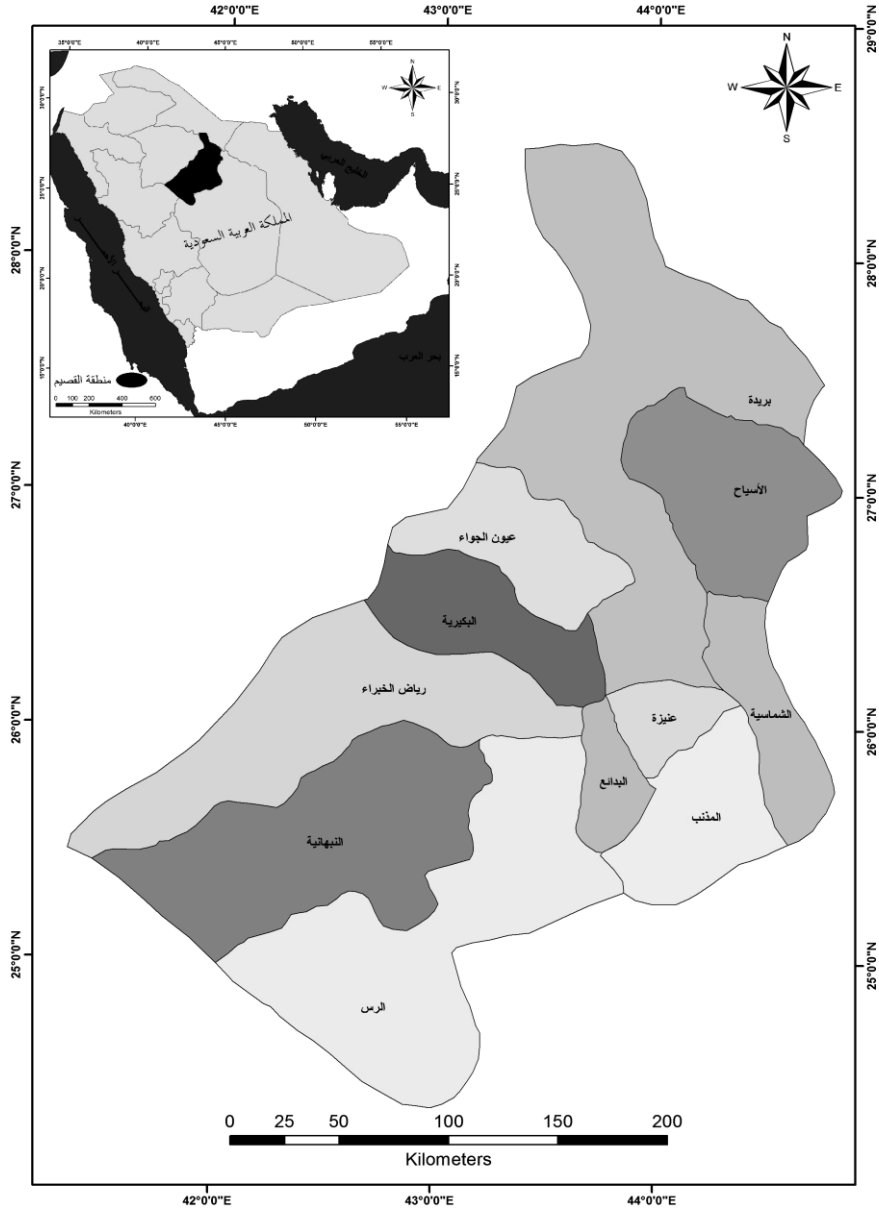

شكل رقم (١) موقع منطقة القصيم

المصدر:من عمل الباحث

وتنحصر منطقة القصيم فلكياً بين دائرتي عرض ٢٧ ٢٤، ١٨ ٢٨ شمالاً؛ وبين خطي طول ٢٧ ٤١، ٤٦ ٤٤ ، وتمتد طولياً بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي مسافة تصل ٢٨٠كم تقريباً، وبمتوسط عرض ٢٤٠كم ما بين الجنوب الشرقي والشمال الغربي.

فموقع القصيم القاري في وسط الجزيرة العربية جعل تجار عقيل يتجهون إلى هذا النوع من التجارة، يذكر الحليسي: "أن قوافل التجارة هي المصدر الوحيد لمنطقة نجد بخلاف بقية المناطق الأخرى فالمنطقة الغربية تعتمد على الحجاج واحتياجاتهم، أما المنطقة الشرقية فتتعاون مع جيرانها تجارياً عن طريق البحر في تجارتهم وفي صيد اللؤلؤ" (الحليسي، ١٤١٧هـ، ص١٧٤)، كما أن موقعه في منطقة زراعية تحيط بها مراع مَكَّنَ تجارته بأن تكون مشتملة على منتجات زراعية وحيوانية كالسمن الذي يقايض من البادية، كما أن المراعي المحيطه به وفرت له بيئة رعوية للجمال غذت سوق بريدة بالإبل على وجه التحديد. وموقع القصيم الجغرافي المتوسط جعل لتجار القوافل الخيار [الأمثل] بين الأسواق في الشرق كالعراق مثلاً، والأسواق في الشمال والغرب كالشام وما يليها غرباً. كما أنه في حالة موسم الحج يمثل سوقاً رائجة للواردات الفائضة التي أحضرها تجار عقيل من الهند على وجه الخصوص. علاوة على ذلك فإن موقع القصيم في طريق الحاج العراقي -سواء في طريقه لمكة المكرمة أو في طريقه إلى المدينة المنورة- فكان الحاج يتزود من البضائع التي وردت إلى القصيم من الأسواق العالمية، وقد وفر هذا سيولة نقدية وعملات أجنبية مَكَّنتْ تجار عقيل في تجهيز رحلاتهم.

وهذا الموقع المتوسط للقصيم لم يكن ليستثمر لولا تحركات تجار عقيل خارج إقليمه ونجاحهم في الاستفادة من توسطهم الجغرافي بين الأسواق ومد الجسور مع العالم الخارجي مما جعلهم يكسرون الطوق التقليدي من الاستثمار الذي كان قائماً على الاكتفاء الذاتي بحد الكفاف والمعاناة في تأمين مستقبل الحياة في ظروف أمنية مضطربة.

٣- التركيب (الجيولوجي)

أما بالنسبة لأثر البنية الجيولوجية "فقد خلفت خصائص طبوغرافية متنوعة، ففي الجهة الغربية يسود الدرع العربي، وتظهر في الجهة الشرقية: التكوينات الرسوبية، والأشكال التضاريسية الطويلة المتعاقبة والمتنوعة " [الجخيدب ١٤٢٢هـ، ص٣١]، كما تغطي المسطحات الملحية (السبخات) بعض المناطق مثل: سبخة الشقة، والعوشزية؛" ولقد كان وادي الرمة نهراً ينحدر من الدرع العربي مخترقاً القصيم، ثم يستمر في مجراه الشمالي الشرقي مع وادي الباطن حتى يصب مياهه في شط العرب" (الوليعي،١٤١٩هـ، ص٤٦٧).

٢- المناخ:

بالنسبة للخصائص المناخية في القصيم فهي متشابهة؛ حيث يسود المناخ الصحراوي الجاف، ويبلغ متوسط كميات الأمطار الساقطة ١٢٠ملم، حيث تسقط -عادة- في الربيع، تجري بعدها مجاري الأودية مثل الترمس والطرفية. فغرب القصيم يقع ضمن الدرع العربي الذي يتميز بشح مصادر المياه، على أنها – أيضا- كانت مياها سطحية في بعض مجاري الأودية تنمو فيه بعض أشجار الطلح. أما شرق القصيم فيتميز بوجود مصدرين للمياه: هما المياه الجوفية - المتمثلة بالخزانات المهمة مثل (ساق، تبوك، الجوف)- إلى جانب المياه السطحية، فهذه المصادر المائية - وبخاصة الجوفية منها- مع خصوبة التربة - وعلى الأخص حول ضفتي وادي الرمة- كانت من عوامل نمو وانتشار المزارع التقليدية حول الوادي والمزارع الحديثة في المليداء وشمال القصيم.

٣- الغطاء النباتي:

مثل الغطاء النباتي زاداً لرجال عقيل في أثناء الطريق فمن الحطب تدفئة ومن الشجر ظل وقت الظهيرة، ومن الكمأة والبسباس والحميض والعراجين غذاء في أثناء موسم الربيع، إلى جانب استخلاص الأدوية من بعض الأعشاب؛ خاصة إذا ما تعرضوا للدغ الثعابين أو العقارب. كما أن إبلهم ترعى في الرياض التي يمرون بها فالربلة تمثل أهم مصادر تغذية ماشيتهم، أما الحياة الحيوانية فهي الظباء (الغزلان) والأرانب وطيور الحبارى فكانت أيضاً زاداً لهم خاصة بعد اختراع البنادق التي سهلت عملية الصيد.

يصف المسلم في رحلته إلى الشام الطريق، فيقول: " فبعد (قصيبا) وفي الطريق لماء (زرود) توقفت القافلة بإحدى الرياض نزلت الأحمال عن الإبل وتركت ترعى: الربلة- الحمض- الغضا- النصى- الأرطى، الرمث وهي أنواع من الأعشاب والشجيرات تقبل عليها الإبل. . . ، وبعد خمس ساعات بدأت (النفود) تظهر وهي أرض رملية مليئة بأشجار الغضا، أنزلت الأحمال ثم بدأ الجميع يجمعون الحطب من أشجار الغضا. . . وفي اليوم الرابع عشر وفي أرض النفود وإذا بنا أمام مجموعة من الغزلان اصطدنا ثنتين منها" (المسلم، ١٤٣٥هـ، ص٤٠-٤٢).

من جانب آخر قد تمثل الحياة الحيوانية والحشرات مصدر قلق وخسارة لهؤلاء التجار، فعلى سبيل المثال: على الرغم من أن الجراد يقوم مقام اللحم إذا ضن عليهم؛ خاصة في المدن؛ نجده مثل مصدر قلقل لهم إذا كانت بضاعتهم من السكر يذكر المسلم: "ونحن في النفود ظهرت علينا أسراب الجراد وحطت على الأمتعة وخشينا من أن تصل إلى أكياس السكر وتحدث بها ضرراً، ولهذا

غطيناها بمشمع سميك سلمت بضاعتنا من السكر من أذى الجراد" (المرجع نفسه ، ص٤٣).

ثانياً: العوامل البشرية:

١: الزراعة:

من المسلمات أن تأمين الطعام من الضروريات الأساسية لبقاء الحياة،"وتلعب الزراعة دوراً أساسياً في قدرة الإنسان في تغيير أسلوب حياته بل وتحديد بقائة" (Ganderton,2000,p159) قامت الزراعة بالقصيم في فترة نشاط تجارة عقيل على مصدرين أساسين هما مياه الآبار السطحية[1] ومياه العيون[2]، إلى جانب الزراعة المطرية الموسمية للقمح بما يسمى آنذاك زراعة (البعل[3]) فمياه الآبار هي مصدر للشرب، وتقوم عليها أيضاً الزراعة عن طريق سحب المياه بالسواني[4].

ولعل إنتاج التمور كان متوفراً، وأما القمح والبقول فكانت زراعته شاقة نتيجة للتكاليف الباهظة الناتجة عن صعوبة استخراج المياه، فهذا الرحالة (داوتي) يصف الزراعة في عنيزة في (١٢٩٥هـ) فيقول: "إن البئر التي حفرها الخنيني تبلغ ست قامات عمقاً، وبلغت قيمة حفرها حوالي ستمائة إسترليني، كما أن الأرض ترهق بتتابع زراعتها بالقمح وهي بحاجة إلى تسميد" (إبراهيم، (٢٠١٣م)ج٢، ص٣٩٥). كما كانت المزارع تتعرض للسلب من قبل الخصوم وعلى الأخص المزارع الواقعة خارج الأسوار مثل مزارع الخبوب. يضاف إلى ذلك فتك الجراد بالمحاصيل في بعض المواسم، هذا إذا سلمت المحاصيل من الجفاف أو البرد الشديد أو حتى الآفات. وفوق ذلك كله كان المزارع إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري ملزماً بدفع الضرائب للحكومة.

إلى جانب ذلك فالمزارع يعاني من ضعف حركة السوق المحلية فعلى سبيل المثال ذكر اليحي: " أن طاقة السوق محدودة لقلة السلع المحصورة في القمح وبعض الحبوب ومنتجات الماشية، كما أن تدني دخول المتسوقين له دور في ضعف القدرة الشرائية بسبب عدم ثبات مصادرهم وتقطعها تلك المصادر التي تتمثل في عطايا الجيوش ورجال شيوخ القبائل أو جماعات المغازي كأجور أو من اقتسام الفيء، كما أن معظم حركة البيع والشراء تتم بالاستدانة، ولهذا فإن البائع تنقصه السيولة، يضاف إلى هذا وذاك أن الناس لا يبتاعون إلا الضرورات من مأكل ومشرب لتواضعهم ومحدودية حاجاتهم. وهذا مما دفع راغبي التجارة إلى التوجه للسوق الخارجية" (اليحي، ١٤١٩هـ، ص١٥١-١٥٨).

٢: تربية الماشية:

"كانت أواسط الجزيرة العربية تنمو فيها بساتين النخيل، وكان معظم رجال الواحات من التجار، يعرفون بأنهم من قبيلة عقيل الذين كانوا يشترون الحيوانات من البدو الرحل ويسوقونها في فصلي الشتاء والربيع، إلى سورية والأردن ومصر لبيعها هناك" (باشا، ٢٠٠٥م، ص١١١)، فكانت الخيول تتغذى في الواحات، أما الإبل فكانت تجلب من البادية وتترك فترة الربيع ترعى ثم يدفع بها إلى الأسواق العالمية بعد تحسن حالها.

هذا وقد مثلت الجزيرة العربية منذ القدم مصدراً رئيساً للثروة الحيوانية الجيدة من الإبل والخيل والأغنام، وذلك لطيب مراعيها، وجودة السلالات المتواجدة فيها، فهي كانت مصدراً للحيوانات التي ألفها الإنسان العربي، فالجواد العربي الأصيل وكرائم نجائب الإبل العربية بالإضافة إلى الضأن النجدية الجليلة من هذه الجزيرة كانت تخرج السلالات الممتازة إلى منطقة الهلال الخصيب العراق- سورية- مصر - والشمال الأفريقي، وتأتي الإبل في المرتبة الأولى وذلك لكثرتها وكثافة أعدادها، تليها بالدرجة الثانية الخيول وذلك لعزتها وسمو مكانتها عند أصحابها، لا سيما وأنها قلعة العربي. (السويداء،بدون تاريخ، ص٢٢) تأتي الأغنام وهي الضأن النجدية خاصة في المرتبة الثالثة. وقد خدم العقيلات بإبلهم الاقتصاد العراقي والمواصلات والاتصالات العراقية، ولم تكن لأهل العراق إبل كثيرة فاستعاضوا عنها بإبل نجد، وتستخدم الإبل لعدد من الأغراض كالنقل والركوب وأعمال الفلاحة وتستهلك لحومها للأكل، أما الخيول فتستخدم للحروب والركوب في المواكب وغيرها استمر هذا الوضع طيلة هذه القرون ثم جاءت الدول الغربية واقتربت من المنطقة العربية وبدأت تشتري من هذه الحيوانات.

٣: التجارة:

أدى العقيلات دوراً بارزاً في مجال التجارة حيث ربطوا بين شرق الجزيرة العربية بغربها؛ وذلك عن طريق التصدير والاستيراد، "وبحكم تنقلهم بين الدول المختلفة فقد كانوا يوفرون خدمات تجارية أخرى مثل توفير العملات الأجنبية، كما لم ينقطع نشاطهم التجاري حتى بعد توقف تجارة الإبل والخيول والأغنام ؛وذلك باستمرار المصارف" (الشريدة، ٢٠١٥م، ص ٩٦).

٤: الظروف السياسية:

ليس الهدف هنا هو تتبع الأحداث التاريخية التي مرت بنجد وإنما محاولة تفسير للظروف الأمنية والاقتصادية المتداخلة التي كان من ورائها مرحلة الهجرات الفردية ثم الأسرية، حيث صاغت هذه الأحداث دور العقيلات في بلد المهجر في العراق أو حتى في الشام؛ فمن الدور العسكري مع العثمانيين إلى قيادة حملات الحج ثم الانتقال إلى مرحلة التجارة؛ كنتيجة حتمية لضغوط الكساد

الاقتصادي الذي أصاب القصيم نتيجة لنهب خيراته من قبل الحملات الخارجية وإثقال أهله بالضرائب، وهذه الأحداث التاريخية المؤثرة بشكل مقتضب هي ما يلي:

أ- الصراعات في القصيم

حكم مدن القصيم الرئيسة (بريدة، عنيزة) أسر لم تكن على وئام مع الدولة السعودية الأولى دخلت هذه الأسر في حروب مع السعوديين، قوى من هذا الصراع ظهور بعض المعارضين للدولة السعودية وذلك في عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م. انتهت هذه الفترة بخروج أكثر المعارضين للدولة السعودية وإقامتهم في الزبير والبصرة وبغداد، استفادوا من خبراتهم العسكرية فعملوا بالجندية؛ ثم انتقلت أسرهم بكاملها من القصيم للاستقرار في العراق.

أعقب هذه المرحلة هجرات من القصيم للموالين للسعوديين ودعوة المجدد في بداية القرن الثالث عشر؛ حيث فروا من وجه إبراهيم باشا في عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م وقصدوا الزبير والبصرة وبغداد وانخرطوا مع نشاطات العقيلات التي أنشأها سلفهم المهاجر. تلي ذلك هجرات الزاهدين في الصراع الذي نشب بين بلدات القصيم ويمموا نحو أقاربهم في العراق للعمل في الجندية والتجارة. أعقبتْ حملة إبراهيم باشا كسادا اقتصاديا وفقرا عمّ القصيم، "ولم يكتف الغزاة بهذا بل إن حسين بك جاء على رأس حملة وقام باضطهاد أهل القصيم وسلبهم"(ابن بشر، ١٤٠٢هـ، ٤٥١) وكان من نتائجها أن قامت الصراعات الداخلية؛ مما اضطر الكثير للهجرة إلى بغداد والشام، وكونوا قوافل لنقل التجارة، ونقل الحجاج.

ب - الصراع مع آل رشيد

"وقعت القصيم في معارك ضارية تحت حكم آل رشيد الذين لم يحسن بعض حكامهم معاملة أهل القصيم. أدت إلى تسارع وقع الهجرة من تلك المنطقة إلى العراق والكويت ووصل بعضهم إلى الشام" (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص٤٦)، تلي هذه الأحداث صراع أهل القصيم مع "الإمام فيصل بن تركي مما أدى إلى هجرة من أراد السلامة" (الشريدة، ٢٠١٥م، ص٥٥-٥٦).

هذه الأحداث كان لها أيضاً ردة فعل قوية لدى بعض الذين استقروا في العراق والشام، فبعد أن آل الحكم فيما بعد للملك عبد العزيز (رحمه الله) كانت هناك هجرات معاكسة إلى القصيم، لكن الأكثرية من المهاجرين وجدوا سبلاً كثيرة للعيش وكسب الرزق، فقد عملوا في خدمة القوافل التجارية وقيادتها. أعقب ذلك تواصل هذه الهجرات الفردية مع أسرهم؛ رغبة في أن يلحقوا بهم تباعاً. وتوزعوا في مدن العراق بشكل أوسع دون الشام وبقية الدول التي انتقلوا إليها في بدايات القرن الرابع عشر الهجري. وعلى الرغم من أننا لا نملك أرقاماً

إحصائية نستطيع أن نقدر بها حجم هذه الهجرات إلا أن هؤلاء المهاجرين أثروا في الأحداث السياسية والاقتصادية للبلاد التي قدموا إليها.

ثالثاً :التحديات الجغرافية التي تعترض قوافل العقيلات:

يمكن تقسيم هذه الصعوبات إلى طبيعية وأخرى بشرية وهي كما يلي:

أولاً: الصعوبات الطبيعية:

١- المناخ:

أ- درجة الحرارة:

كانت المعاناة في الصيف وفي الشتاء، ففي الصيف كانت المعاناة داخل الجزيرة العربية وهي حسب اتجاه الرحلات ففي اتجاهها شرقاً كان عليها عبور الكثبان الرملية التي تضاعف من معاناتهم في أثناء سطوع الشمس. ولهذا كانت قوافل العقيلات "تتوقف عند الظهيرة للقيلولة ولاتقاء حر الشمس، وغالباً ما تكون على مورد ماء" (الشريدة، ٢٠١٥، ص٣٤)، إذاً كانت حرارة الشمس سبباً رئيساً في توقف المسير حتى يبرد الجو بعد العصر. كما أن هناك مواقف عدة يرويها شهود عيان على أحداث تعكس أهمية توفر الماء خاصة في الصيف، فقد أورد (العبودي): "أن العقيلي عبد الله السمحان كان راجعاً من العراق للقصيم، وفي طريقهم أخطأ مورد الماء فأشرف على الهلكة من شدة العطش لنفاد الماء من قربهم ضاعف من المشكلة ارتفاع درجة الحرارة وعلى الخصوص وقت الظهيرة، ثم لجأ إلى الله بالدعاء وقد أيقن بالموت لا محالة فنشأت سحابة وأمطرت عليهم فقاموا ببسط ملابسهم وعصرها ليشربوا لكن قدرة الله شملتهم واستمر المطر حتى عبأوا قربهم وشربت إبلهم (العبودي، ١٤٣١، ج١٠ص٣٨٣).

وفي الشتاء تكون الصعوبة مضاعفة خارج الجزيرة العربية لشدة انخفاض درجة الحرارة بيد أن البرد والعواصف في أغلب الأحيان أشد قسوة من العواصف الثلجية فكانت القوافل في هذا الفصل تتجنب السرى ليلاً لقسوة برد الصحراء ويقتصر سيرها على النهار القصير بطبيعة الحال كما أن الإبل تحتاج إلى المزيد من العلف الذي يدفئها في الوقت الذي قد لا يتوفر في كل أرض. كما أن تحركات العقيلات لتسويق إبلهم في الأردن وفلسطين تتم حسب فصول السنة وكان لعامل درجات الحرارة الأثر في ذلك. فيقضي العقيلي الشتاء في غور الأردن لقلة البرودة مقارنة مع المناطق المرتفعة في الأردن، وإذا حل الصيف تحرك العقيلي إلى فلسطين حيث تبدأ أسواق الإبل.

ب-: الأمطار:

الأمطار مصدر خير للعقيلات وغيرهم. فكم كانت خيراً منقذاً لهم إذا وافق هطولها فترة انتهاء الماء الذي يحملونه خاصة إذا ما أخطأوا الطريق كما أن الأمطار تغذي الآبار وموارد المياه التي يمرون عليها خاصة طريق زبيدة. وهي مصدر رزق ففي مواسم الأمطار ينمو الكلأ الذي ترعاه إبلهم وماشيتهم، ويروج سوق السمن وتتوفر العملة الصعبة لدى البادية التي تتبضع من العقيلات. ومع هذا فقد يمثل المطر مصدر خطر لبعض البضائع التي تحملها الجمال مما يدفع بقوافل العقيلات إلى تغطية البضائع بعوازل تكلفهم المال الكثير. كما أن انقطاعه خاصة فترة الوسم يحرم أبلهم المراعي فتبدو هزيلة ويصعب تسويقها.

ج- الربام:

ففي الشتاء قد يقابل العقيلات بعض العواصف الثلجية فعلى سبيل المثال في تركيا أورد (البشر) قصة تحكي هذه المعاناة: "فقد اشترى (علي الحليسي) من تركيا جمالاً وتوجه إلى دمشق وفي الطريق هبت عليهم عاصفة ثلجية؛ بحيث لا يمكن بناء خيمة، فعمد الحليسي إلى نحر أربعة من الجمال وفرغ أحشاءها والتجأ هو ورفاقه الأربعة في وسطها إلا أنه قبل ذلك فقد أصابع قدميه بسبب تجمد الدماء فيها وعطبها" (البشر، ١٤٣١، ص١٠٩٢-١٠٩١).

أما في الصيف فإنهم يقابلون الرياح الحارة وأحياناً العواصف التي تحمل الأتربة خصوصاً في أثناء عبورهم الرمال المتحركة كما في النفود الكبير. ولتقدير هذه المعاناة نقف قليلاً مع وصف الرحالة روسو في رحلته مع العقيلات فيقول: "وبعد أن خيمنا هبت عاصفة قوية كتلك التي تعصف في جزر (الأنتيل) فخيم الخوف وعمت الفوضى، فكنت أرى أعمدة الخيام وقد قلعت من أساسها وتمزقت، والأحمال تتدحرج على الأرض، والخيل وقد هاجت فاندفعت في كل الاتجاهات؛ أضف إلى ذلك كله صفير الريح وقصف الرعود ولمعان البرق. . . . الخ" (روسو، ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ، ص٦٨). وعند بداية إرهاصات هبوب العواصف فإن رجال عقيل يحترزون لذلك "حيث ينيخون الجمال (أي يجلسونها على الأرض) وينزلون الحمولة ويقيمون أحياناً ملجأ من بضائعهم التي قد تكون أكياس السكر والشاي مغطاة بأشرعة فيحتمون تحتها حتى تهدأ العاصفة" (المسلم، ١٤٣٥، ص٥٩).

٣- التضاريس:

أ- الكثبان الرملية:

يكون السير في الرمال يسيراً على الجمال حتى التي تحمل البضائع، لكن سير القافلة يكون بطيئاً إذا رافقت القافلة الخيول التي تسير بحركة بطيئة في الكثبان الرملية. كما قد تكون الكثبان سبباً لتيه القافلة فترة النهار إذا صادف أن

ثارت عواصف رملية قوية قادرة على حمل حبات الرمال؛ فإنها كفيلة بمحو آثار الطريق، مما يضطر القافلة لانتظار حلول المساء فيستدلون بالنجوم. وفي صحراء الدهناء أو حتى النفود الكبير يقطع العقيلات كثبانا رملية ليس فيها موارد مياه، وخوفاً من أن تصيبهم الهلكة إما بسبب عواصف رملية حارة أو فقدان الاتجاه الصحيح فإنهم يعمدون إلى دفن قرب معبأة بالماء في طريقهم للشام مثلاً ويضعون فوقها علامة فإذا ما تاه في الصحراء يمم نحو هذه العلامات وحفر الرمال واستخرج القرب.

وقد يصادف أحياناً أن تثور عواصف تمحو آثار الطريق في بعض السهوب الرملية. وفي هذه الحالة تتوقف القافلة ويخرج الأدلاء للتقصي والبحث يسترشدون بأية علامات مميزة من تلال أو أودية وإذا أعجزهم ذلك انتظروا حلول المساء ثم يهتدون حينئذ إلى طرقهم بالنجوم. ويعتبر النجم القطبي (الجدي) هو هاديهم ومرشدهم لكونه يرمز للشمال. كما يروي العقيلي محمد الغصن: "أن العقيلات يهتدون إلى معرفة الاتجاهات حينما يجدون أية شجرة، فعند جذعها يتشكل بفعل الرياح مثلث رملي يشير رأسه إلى الجنوب بينما تشكل قاعدته الجهة الشمالية" (مقابلة معه بتاريخ١٠/٨/١٩٨٧م) (إبراهيم، ٢٠١٤، ص١٣٣).

ب- الأنهار:

هناك بعض الأنهار التي تعترض طريق العقيلات مثل: نهر الفرات ونهر دجلة وشط العرب ونهر الأردن ونهر النيل فإذا كانت على تلك الأنهار معابر وجسور يعبرون عليها فإن الأمر يهون حيث تعبر قوافلهم وإبلهم وخيولهم فوق هذه الجسور دون عناء إلا ما قد يدفعونه من ضرائب أو رسوم لهذه الجسور، لكن الأمر يزداد صعوبة عندما تنعدم مثل هذه الجسور خاصة على نهر الأردن وبالذات عند فيضان النهر وزيادة منسوب مائه بعد فصل الربيع فإن العقيلات بحاجة إلى من يعبر قوافلهم وخاصة إذا كانت من الإبل والخيل، فالخيل تسبح ولا تحتاج إلى جهد كبير عند عبور هذا النهر خاصة إذا قادها جواد جريء سبوح فإنها تتبعه بكل قوة ونشاط حتى تعبر النهر لكن الصعوبة في الإبل التي تحتاج إلى من يبحث لها عن الأماكن التي يقل فيها عمق الماء عند مفارش النهر، ويذكر السويداء: " أن الصعوبات في هذه الأماكن قد حلتها قبائل النصيرات الذين يسكنون على الضفة الغربية لنهر الأردن حيث يشاركون في مهمة عبور الإبل والخيل مقابل مبلغ من المال على كل رأس، وبعد عبور الإبل والخيل تنصب الخيام هناك ثم يبدأ العقيلات لجلب الإبل والخيل إلى الأسواق في فلسطين على دفعات" (السويداء،١٤١٦هـ ، ص١٣٨)

"وفي العراق فإن الإبل والخيول تعبر فوق جسور على كل من شط العرب أو نهري دجلة والفرات ودفع رسوم رمزية لقاء هذا العبور وغالباً ما تكون

الطرق التي يسلكها العقيلات محاذية للأنهار ولا تجتازها إلا للضرورة القصوى وعند ذلك يتحمل العقيلات مبالغ مالية مقابل ما يدفعونه من رسوم ومن أشهر المعابر على نهر الفرات معبر "دواس" (السويداء،١٤١٦هـ ، ص١٣٨).

هذه الأنهار على قلتها في هذا الجزء من الوطن العربي إلا أنها تمثل إحدى العوائق الطبيعية التي تؤثر في حركة التجارة في هذه الحيوانات حيث إن عبور هذه الأعداد الكبيرة من الإبل والخيول في كل يوم تقريباً يحتاج إلى ترتيب معين للوقت الذي يسمح فيه لعبور هذه الحيوانات وغالباً ما يكون العبور في آخر الليل عندما تخف الحركة على هذه الجسور من المارة وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي في مجموعات متتابعة معقولة العدد، بحيث لا يؤثر عبورها دفعة واحدة سلبياً على تلك الجسور، وإذا كانت الأعداد من هذه الإبل والخيول بالآلاف فإن عبورها على تلك الجسور محدودة الطاقة يحتاج إلى عدة أيام وهذا بطبيعة الحال يؤثر في عملية التسويق كما يزيد من المصاريف المترتبة على هذا النوع من التجارة وبالتالي يقلل من إرباحها كما أن عملية العبور سباحة كما في نهر الأردن يعرض التاجر للخسارة إذا غرق شيء من هذه الإبل أو الخيول أثناء العبور، نظراً لأن هذه الحيوانات التي عاشت في الصحراء يصعب عليها عبور هذه الأنهار العميقة سباحة. يقول المسلم: "شاهدت بنفسي عبور إبل العقيلات في رحلتي هذه معهم، فالجمل وعليه أحماله يعبر من منطقة تغطي نصفه أما الجياد فكان لا يظهر منها سوى نصف الرقبة مع الرأس ومن المحتمل عبور النهر في أوقات الصيف حيث المياه صافية أما في الشتاء فيستحيل العبور" (المسلم، ١٤٣٥هـ، ص١٠٦) وبعبور الإبل إلى الضفة الغربية لنهر الأردن يكون العقيلات في فلسطين. لكن عليهم عبور وادي الفارعة الذي يخترق نابلس وهذا الطريق يشبه إلى حد كبير طريق الهدى بالطائف، وتقطعه الإبل طلوعاً بحوالي خمس أو ست ساعات.

ج- البحار:

لم يقتحم العقيلات البحر في رحلاتهم إلا ما كان ضرورياً وذلك بعد حفر قناة السويس واستخدامها كممر مائي يفصل القارة الأفريقية عن القارة الآسيوية بعد عام ١٢٩٧هـ ١٨٧٩م أي في بداية القرن الرابع عشر الهجري حتى انتهاء دورهم، وبالطبع فإن مصر في الجزء الأفريقي غرب قناة السويس والطريق منها وإليها عبر هذه القناة، إضافة إلى ذلك عبور (العقيلات) من فوق شط العرب ورأس الخليج باتجاه عربستان والمحمرة والإمارات العربية في تلك الناحية التي كانت ترتبط بعلاقات وثيقة مع أجزاء العالم العربي الأخرى قبل أن تستولي عليها إيران فكان الطريق من تلك النواحي وإليها وإلى ما ورائها من بلاد فارس وتلك الأصقاع يحتاج إلى عبور البحار، وكانت الأهوار التي في

جنوب العراق تمثل عائقاً طبيعياً؛ خاصة لأصحاب الإبل والخيول؛ نظراً لكونها مناطق ضحلة، لكنهم يحاولون تجنبها قدر الإمكان مراعاة لصحة وسلامة أنعامهم. اللهم إلا للعبور إلى شرق الشط فكانت الإبل والخيول تعبر إلى تلك الناحية فوق سفن تنقلها إلى الجانب الشرقي وقليل منها يعبر فوق الجسور ثم تأخذ طريقها إلى تلك الجهات.

وعلى الرغم من موقع القصيم البعيد عن البحار بحكم موقعة القاري؛ إلا أن البحر أثر في حياة العقيلات؛ ذلك أن جزءا من بضاعتهم مرهون نجاحه بحركة رياح البحر. يذكر داوتي: "أن تجار بريدة وعنيزة يشترون الخيول من ديار القبائل العربية ثم يغذونها فترة الصيف ولا تزال على ذلك حتى فترة هبوب الرياح الموسمية في البحار الهندية، ثم يدفعها رعاة الخيل عبر المسارات الشمالية، ويقطعون بها سبع عشرة مرحلة، تحمل لهم الإبل ماء الشراب حتى الوصول إلى الكويت، ثم يشحنونها بحراً إلى بومباي" (إبراهيم، ١٤١٩هـ، ج٢ص٤٠٤). وقد تتسبب رداءة الطقس في تأخر وصول السفينة، يقول العبيد الله: "إذ قد يتسبب الطقس السيء في تأخر القارب الذي يأتي عادة محملاً بالبضائع، حينها يكون عليهم الانتظار والانتظار قد يطول من أسبوع إلى عشرة أيام" (العبيد لله، ١٤٣٣هـ، ص٥٠) وصحيح أن حركة الرياح قل تأثيرها في تحركات السفن بعد التقدم في اكتشاف طاقة البخار؛ إلا أننا أمام تاريخ مر على هذه التجارة لابد من التعرض له.

وكان تجار العقيلات يعبرون بإبلهم وخيولهم من غزة لمصر عبر سيناء بكل يسر، إلا أنه بعد حفر قناة السويس التي شاركوا في حفرها! أصبحت عائقاً لتحركاتهم ذلك أن عليهم إركاب إبلهم وخيولهم عبر المعديات التي تنقلها من الشرق للغرب وكان عليهم الانتظار وأيضاً دفع رسوم العبور. " والمعدية عبارة عن باخرة تصل حمولتها ألفي طن تحمل حوالي مائة رأس من الجمال وبها مكان للركاب والسيارات" (المسلم، ١٤٣٥هـ، ص١٦١).

ومن صور تأثير النقل البحري على تجارة العقيلات؛ أن هناك نوعين من قوافل العقيلات يتحركان من البصرة إلى حلب، فقافلة معدة للإبل وتجارتها فقط، أما الأخرى فكانت للتجارة ونقل السلع وهي التي تتأثر ويرتبط خروجها بورود السفن من موانئ شبه القارة الهندية خاصة سفن البنغال. كما كان تجار عقيل - إضافة إلى نقل البضائع- يستثمرون حركتهم، فيعملون كسعاة بريد لنقل الرسائل من الدول المطلة على المحيط الهندي إلى دول أوربا وذلك عن طريق هذا المسار البري الذي يخترق الصحراء. كما أن أعداد السفن القادمة من الهند ازداد وذلك بعد اكتشاف الطاقة البخارية ولم يعد إبحارها موسمياً مرتبطا بالرياح، وكان للازدهار الذي أحدثه البخار في النقل البحري مردوده المؤقت في زيادة النقل البري فنشط العقيلات في حمل تلك التجارة وربطوا بخاريات المتوسط مع بخاريات الخليج، لكنه شكل بداية النهاية للعقيلات كناقلين عالميين.

ثانياً: الصعوبات البشرية:

١- فرض الضرائب والرسوم:

"يدفع العقيلات مبالغ محددة ومتفقا عليها مع القبائل للحصول على الأمن والأمان لكل قافلة، وإذا حصل لأي أحد منهم مشكلة في الأراضي التابعة للقبيلة فإن المسؤولية تقع على رئيس القبيلة. وكانت الضرائب التي تدفع على النحو التالي:

أ- الأردن: يسيطر على طريق معان الأردن إلى حدود فلسطين وحتى الحدود المصرية في سيناء قبيلة ((اللحيين)) ويدفع العقيلات للقبيلة عشرين قرشاً أردنياً لكل جمل.

ب- في سورية يدفع العقيلات للشعلان مبلغا يتفق عليه بين وقت وآخر.

ج- وفي مصر يدفع العقيلات لعرب ((المفازة)) الذين يحيطون ويسيطرون على طريق القنطرة والتل الكبير جنيها واحداً لكل رعية" ((المعارك، ١٤٢٦هـ، ص٦١).

هذا إلى جانب ما يدفعه رجال العقيلات من هدايا وعطايا لبعض رجالات البادية خصوصاً في الصيف عند الموارد التي يكثر عليها الوارد، لتتمكن القافلة من سقي الإبل في وقت ليس بالطويل. "كما لم تكن القوافل تتبع وادي الفرات وإنما كانت تدلف من الزبير مباشرة إلى الصحراء وتتبع طريقاً موازياً للنهر؛ لأن المرور على المستوطنات والحواضر وديار القبائل يعني زيادة في التكاليف حيث يضطرون أن يتحفوا الشيوخ بالهدايا والمسؤولين ((بالبقشيش))" (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص١٤٦). هذه المبالغ تمثل عائقاً في كونها تحملهم نفقات إضافية وتجعلهم في حرج إذا صادف أنكسدت السوق لأي ظرف عارض.

٢- الجوع والأمراض والخوف:

كان الجوع في القصيم من بين أسباب خروج عدد من رجال عقيل للدول المجاورة للجزيرة العربية ، كما في لجوئهم إلى العراق مثلا. لكننا نجد جزءاً منهم رجع لبريدة هروباً من المرض الذي داهم العراق! فقد أورد (العبودي) "أن سبب مجيء عثمان بن عثيم إلى بريدة في ١٢٤٧هـ هو انتشار مرض الطاعون في (سوق الشيوخ) كما ضاعف من المشكلة فيضان نهر الفرات الذي غطى بعض القرى" (العبودي، ١٤٣١هـ، ج٤ص٥٦٤)، وقد أكد انتشار هذا الوباء مجموعة من المؤرخين فعلى سبيل المثال: أنه في هذه السنة وقع الطاعون الذي عم (العراق) وإذا دخل بيتاً لم يخرج منه حتى لم يبق فيه عين تطرف، وجثا الناس في بيوتهم لا يجدون من يدفنهم. . وأنتنت البلدان من جيف الإنسان، ومات بعض الأطفال عطشاً وجوعاً" (ابن بشر، بدون تاريخ، ص٤١). "وفي

عام١٣٣٦هـ، كان رجل محسن من أهل بريدة في (فلسطين) يدعى حمود البراك، أصيب بعض جماعته بأمراض، فسخره الله لهم واشترى لهم مركبا، وأرسل معهم القائمين على أمرهم وأوصلهم لبريدة" (العبودي، ١٤٣١هـ، ج٢ ص٩٦).

أما الخوف فيتمثل فيما وصفه الرحالة الفرنسي الذي شاركهم في أحد رحلاته فيقول: "إن هذه القوافل عكس القوافل الإيرانية، لا تسير في الليل أبداً، ليس بسبب صعوبة الرؤية لسبل الصحراء المطروقة، ولكن لأن الظلام يسهل عادة عمليات الهجوم والسطو على القافلة، مع العلم أن عرب العكيل[6] يعرفون جيداً – عند الحاجة- السير في هدى النجوم، وإني أعتبرهم من هذه الزاوية أفضل الراصدين للطبيعة" (روسو، ٢٠١٠م-١٤٣٠هـ، ص٦١)، هذا الرحالة رافقهم في (٨٠٨م) أي قبل أكثر من مائتي سنة، وهذه فترة قلاقل وحروب وسطو من قبل قطاع الطرق ممن لم يتحالفوا مع العقيلات أو من اللصوص الذين لا يخضعون لسلطة أي قبيلة؛ ولهذا نجد العقيلات يتوقفون في الليل للراحة والتزود بالطعام.

ثانياً: خطوط سير العقيلات إلى الأسواق الخارجية:

يتحكم في توجيه خط سير هذه الرحلات بالدرجة الأولى التوزيع الجغرافي لموارد المياه، ومدى جدوى وجاذبية الأسواق الخارجية؛ ولهذا فإننا نعتبر هنا أن طرق موارد المياه هي (وسيلة للوصول) للهدف وهو (البيع والشراء) في أسواق الشرق والغرب. فهذه الموارد التي يمر عليها تجار عقيل للتزود منها بالماء، قد رسمت –أي: مواقع هذه الموارد- خط سير العقيلات. وتمثل هذه الموارد شريان الحياة الرئيس خاصة في فصلي الصيف والخريف؛ فهي التي تتحكم بمسارات قوافلهم ويترتب عليها طول الرحلات وقصرها وغير ذلك من شكل الطرق حيث يكون مسير القافلة معتدلاً عند توالي المناهل ومعوجاً متعرجاً عند تناثرها، تسير القافلة تبعاً لمناهل الماء أينما سارت، أحياناً يمتد الطريق لمسافة مضاعفة واتجاهات منحرفة عن الاتجاه الصحيح كأن يكون الاتجاه شمالاً فتتجه القافلة شرقاً وغرباً وربما جنوباً وذلك لمتابعة هذه الموارد.

وقد تواجه العقيلات حول هذه المناهل إمكانية كمون الخطر حولها، فغالباً ما يترصد قطاع الطرق والطامعون بهذه القوافل حول هذه الموارد ولذلك فإن أمير القافلة إذا اقترب من المنهل أرسل من قبله طليعة يسمون السبور أو "القلوط" ليسبروا هذا الطريق ويروا ما إذا كان آمناً أم لا، فإن رأوه كذلك وردوا إلى المنهل وإن أوجسوا خيفة فإنهم يجتنبونه مع طريق آخر إلى مورد غيره إن كان يقربهم مورد بديل وإن لم يكن هناك غيره ولا مناص من سلوك هذا الطريق تدبروا الأمر وأرسل الأمير مفرزة لتستطلع حقيقة الخطر ويتم تدارك الأمر بالتفاهم مع مصدره، كما أن من مهمات فرقة الاستطلاع أو "القلوط" أن يروا من على البئر من الناس الواردين ومدى مكثهم على المورد. وأحياناً تحصل اختلافات حول الماء ودور كل واحد وأكثر ما تحصل هذه المشاكل في فصل الصيف والخريف، أما في فصل الشتاء والربيع فتنتفي هذه الصعوبات نتيجة لقلة الواردين مقارنة بغيره من فصول السنة. ومن دراسة الشكل التالي رقم (٢) يتضح أن خط السير في جميع خطوط سير الرحلات هو مرسوم كنتيجة لمواقع هذه الموارد وهي كما يلي:

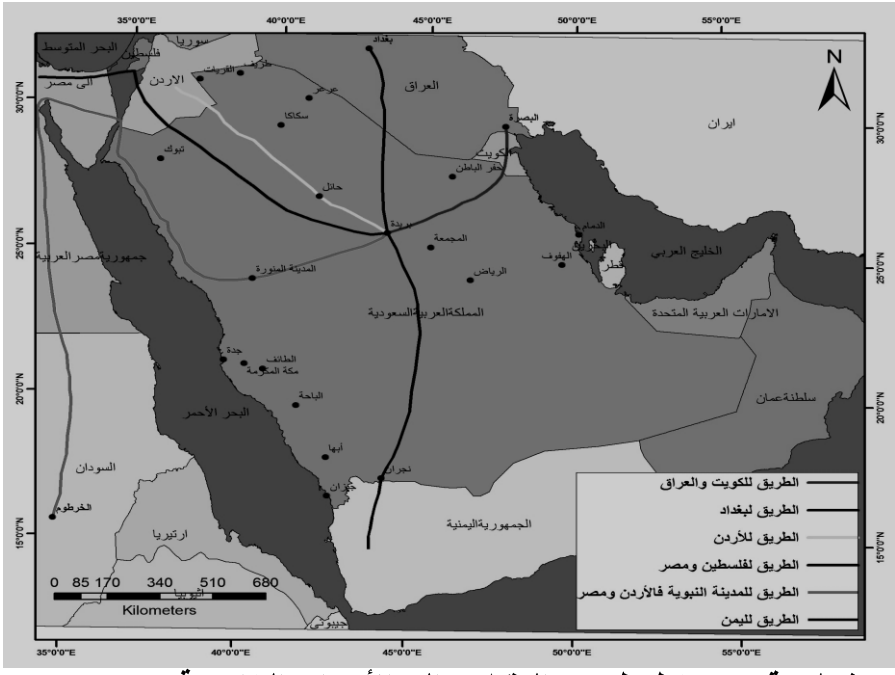

شكل رقم ٢ خطوط سير العقيلات إلى الأسواق الخارجية
من عمل الباحث اعتماد على أطلس المملكة ١٤٣٠هـ

أ: الاتجاه إلى الشرق:

يسلك رجال عقيل في هذا الاتجاه طريقين الأول للكويت ثم العراق، والآخر يتجه للعراق فقط، وخط السير هو كما يلي:

الطريق الأول: من القصيم إلى الكويت والعراق:

فمن بريدة يتجهون إلى الطرفية، ثم إلى بئر النقع، فآبار وادي الأجردي فبئر الثمامي، ثم آبار السبع، فحفر الباطن، فالرقعي على حدود الكويت، ثم يدخلون الكويت. ومن الكويت يتجهون إن أرادوا الزبير ثم البصرة.

الطريق الثاني: من القصيم إلى بغداد:

من بريدة (قاعدة القصيم) ثم عريق الطرفية، فضيدة، فالزبيرة، فلينة، فزبالا، فرفحا (بركة الجميمة) ثم براك الهيتم، ثم بركة الظفيري، ثم بركة العقبة، فخان الرحية، ثم النجف والكوفة، ثم بغداد.

ب- الاتجاه إلى الغرب:

وهو الاتجاه إلى الأردن بالدرجة الأولى ومنها إلى سورية أو فلسطين أو مصر وهذا راجع لقانون العرض والطلب وظروف المناخ، وقد يتخذ رجال عقيل طرقاً أخرى مباشرة إلى فلسطين ثم مصر دون الاتجاه إلى الأردن وسورية، وهذه الطرق كما يلي:

١- الطريق إلى الأردن:

أول هذه الموارد هو (قصيبا) وهي معروفة بكثرة نخيلها، والمورد عبارة عن بركة كبيرة تتغذى من عين تنحدر من منطقة جبلية مرتفعة، قام بتهيئتها العقيلي عيسى الرميح أوقفها للمارين بها من العقيلات وغيرهم.

أما المورد الثاني فإنه (زرود) وهو مورد مشهور ومعروف يقع بطريق الحاج القادم من مكة المكرمة إلى العراق، ولهذا عادة ما تكون البئر مزدحمة بالسقيا عليها ثلاثة مقامات لسحب الماء بالدلاء. وقوافل عقيل تتيح فرصة لرعي الإبل بالقرب من هذا المورد؛ لأن المنطقة التي تليها أرض صلبة تسمى (الحجرة) قبل النفود الكبير. أما المورد الثالث فإنه يقع في وسط النفود الكبير ويدعى (الحيانية) ويقع في منطقة منخفضة بين الكثبان، بعمق قرابة ٥٠متراً ومياهه عذبة، ويبعد عن المورد الذي قبله ثمانية أيام على السائر بالقافلة ولهذا تصل الإبل عطشى. والمورد الرابع مورد (عذفاء) ويقع بين النفود وأرض (دومة الجندل) كما أنه يقع في أرض سهلية تحيط بها الجبال من الشمال والجنوب، أما الشرق فتوجد فيه كثبان رملية، وفيه خمسة آبار ليست بعميقة جداً.

بعدها يتم المرور بالمورد الخامس (الشويحطية) يقع في ضواحي سكاكا وتلتقي حوله جميع الإبل الواردة من العراق والقصيم وغيرها. أما عن نوع المياه فهي مالحة غير مستساغة للشرب من قبل الآدميين، لكنهم يعمدون إلى البساتين التي حولهم فهي تحتوي على آبار حلوه. وبعد تحرك قوافل العقيلات من المورد السابق يصلون إلى المورد السادس " (قراقر) تقع غربي الجوف القديمة، (قارة) أو ذو القارة تاريخياً إحدى القريات التي منها دومة الجندل- سكاكا، وبها آبار مياهها وفيرة وسطحية" (المسلم، ١٤٣٥هـ، ٧٩). بعدها يأتي المورد السابع (النبك) أي مدينة (القريات) وهي آخر الموارد داخل الأراضي السعودية. يليها المورد الثامن داخل الأراضي الأردنية وهو بئر العمري، وهي حفرت حديثاً مع تخطيط الحدود الأردنية- السعودية، وهي على الغالب مورد للعشائر من جميع هذه الدول الحدودية. ثم تتجه القوافل للمورد التاسع في قرية (سحاب) وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من عمان، بعد هذا يتجه العقيلات إلى عمان، حيث يستقرون حول مجرى عين تسيل في وسط عمان.

١- الطريق إلى فلسطين ومصر:

"من بريدة إلى أوثال شمالاً، ثم قصيباء، فالكهفة، ثم سميرا، فقصر العشروات، ثم الطويلة الرمادي، فالحيوي، ثم بقر الطيف، فالعلا، ثم المويلح، فحفر معان، ثم الغور، فوادي الأردن، ثم فلسطين، أو يتجه إلى مصر من المويلح، إلى طابا، ثم قطيا، فالعريش، ثم بئر العبد، فالدويرات، فالقنطرة الشرقية"(الوهيبي، ١٤٣٧هـ. ص١١١).

٣- الطريق إلى المدينة المنورة فالأردن ومصر:

"من بريدة إلى البكيرية غرباً، ثم رياض الخبراء، ثم البتراء، فبئر صخيبر، ثم بئر الهمج، فالحناكية، ثم المدينة المنورة، فوادي الحمض، فبئر نصيف، ثم بئر الجديد، ثم البدائع، فالعلا، ثم قلعة المعظم، فتبوك، ثم بئر ابن هرماس، ثم بئر مجيفل، فيدخلون العقبة، ومنها وادي العرب (الغور)، ثم سيناء، فالقنطرة الشرقية، ثم القنطرة الغربية، فالتل الكبير، فلبيس، فالزقازيق، وأخيراً إمبابة" (المرجع السابق، ص١٢٧)، ومن مصر يتجهون إلى السودان أو إلى الشمال الأفريقي (ليبيا والمغرب).

طريق عودة بعض القبائل من مصر:

"طريق تجارتهم هي أن يسيروا من نجد بالإبل والخيل العربية قاصدين الشام وما جاورها ومنها إلى غزة ثم إلى القطر المصري عن طريق الإسماعيلية. وبعد المبيع يقصدون بلادهم فيسافرون بحراً من السويس إلى ينبع أو جدة. ومنها براً إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة ثم إلى ديارهم النجدية وهو سفر طويل محفوف بالأتعاب والأخطار" (العامري، ١٣١٤هـ ص ١٥ ص ٢٥) أما بقية الاتجاهات فيرجعون براً.

ج: الاتجاه إلى الجنوب: من بريدة إلى اليمن:

من بريدة، ثم الدوادمي، فبئر العليا، فالقوارة، فالشامية، ثم آبار كلاخ، ثم آبار السلام، ثم آبار مشانة، ثم بئر رغوان، ثم بئر اللميمي، ثم وادي الدواسر، ثم بئر الطويلة، ثم بئر الشبيكة، ثم بئر الحشرج، ثم بئر نعوان، ثم بئر النقعا، ثم بئر الخرائط نجران، ثم بئر عسكر، ثم نهوقة اليمن. قال عمر رضا كحالة: "فترحل القوافل إلى اليمن بطريق وادي الدواسر" (كحالة، ص١١-٣١).

نفوذ العقيلات في المحيط الإقليمي (الأسواق الخارجية):

مثلت الزبير بوابة نجد على العراق، وهي ذات موقع متوسط بين صحراء النفود وسواد العراق وتمثل نقطة التقاء بين الحاضرة والبادية، وهي تقع في طريق القوافل التي تعبر من الأحساء إلى الشام. وهناك تشابه بين مناخها ومناخ القصيم لكونها قارية تهب عليها الرياح الجافة، وهي في بعض أجزائها أرض صالحة للزراعة ، كما تتوفر فيها مياه الآبار. هذه البيئة الصحراوية جذبت الفارين من الحروب والجوع في القصيم ليجدوها ملاذاً آمناً.

ولأن العقيلات نسيج من القبائل المتحضرة؛ فهذا النسيج المتنوع أعطاهم المقدرة على تقديم المصلحة الاقتصادية على النعرات القبلية التي تفرق وتبطل التحالفات الاقتصادية خاصة في بلد المهجر. هذه المرونة عند حاضرة نجد (العقيلات) مكنتهم من الانتشار في بقية مدن العراق؛ لأنهم يستمدون قوتهم من الله، ثم من شجاعتهم وأمانتهم، وليس من سلطة القبيلة، كما زاد العقيلات انفتاحاً على الآخرين في بيئة العراق التي تجمع بين عقائد متعددة ونقطة التقاء ثقافات مختلفة عاشت تحت مظلة المصلحة المشتركة.

وبعد تمدد نشاط العقيلات إلى البصرة، أعطاهم ذلك انفتاحاً ثقافياً جديداً حيث بدأ تعاملهم حتى مع البريطانيين عن طريق شركة الهند الشرقية التي استوردت منهم خيول القصيم العربية؛ هذا التعامل شجعهم ابتداء على ركوب البحر، والسفر إلى الدول حتى غير الإسلامية، كما حدث في وصولهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

" إن أول إمكانية يمكن أخذها بعين الاعتبار هي أن الجماعة يمكن أن يعاد بناؤها حتى يستفاد من قوتها الأخلاقية ويتم التقليل من نقاط ضعفها" (سمث، ٢٠١٣، ص٢٢٣). هكذا ظهرت صورة رجال عقيل في بلاد المهجر، حيث لم يكن دورهم تجاريا فحسب، وإنما كانوا مؤثرين في المجتمعات، حيث استثمروا مقوماتها في ازدهار قوافلهم التجارية.

من جهة أخرى لم يقتصر وصول تجار العقيلات للدول المجاورة للجزيرة العربية فقط، وإنما تعداه إلى خارج قارة آسيا؛ وهذا بطبيعة الحال قبل الاستعمار ورسم الحدود الجغرافية بين الدول، واحتلال فلسطين وحفر قناة السويس. ولهذا وصل هؤلاء التجار إلى دول عدة بغرض التجارة بل واستوطن بعضهم في هذه الدول وكونوا أسراً هناك. ومن دراسة الشكل رقم(٣) تتضح الدول التي تم وصولها بهدف التجارة،وهي موزعة حسب القارات كما يلي:

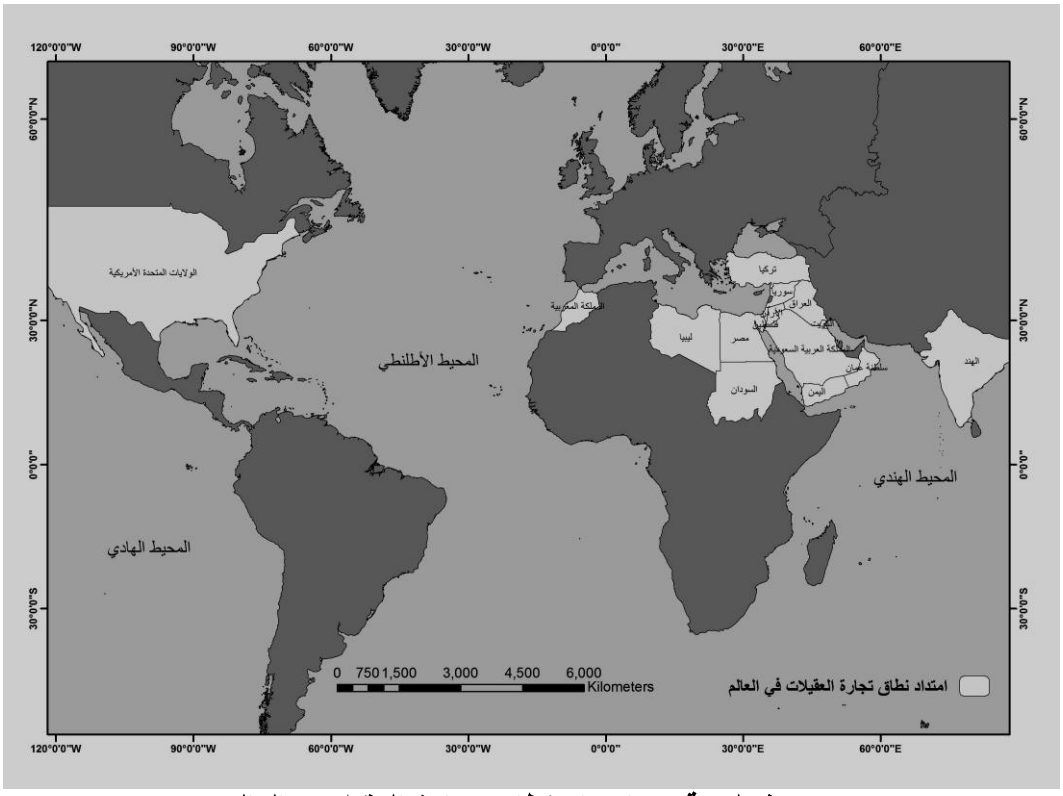

شكل رقم ٣ امتداد نطاق تجارة العقيلات بالعالم
المصدر : من عمل الباحث

أولاً: قارة آسيا:

بحكم الموقع الجغرافي القريب من الكويت، ولكون الكويت ميناء ترد إليه البضائع؛ فقد قصده العقيلات كأول محطاتهم الاقتصادية للتبضع والعودة للقصيم. من جانب آخر عمل بعض العقيلات كتجار مستقرين في سوق الزل، أو في مزاولة الأعمال المختلفة لتوفرها، مقارنة بالقصيم التي كانت آنذاك طاردة، وكانت فرص العمل فيها ضيقة جداً.

وبحكم القرب الطبيعي بين أراضي الكويت ونجد وعدم وجود ظواهر طبيعية من جبال وكثبان رملية تحول بين المنطقتين، فقد كان هناك تصاهر بين القبائل وتنقل بين المنطقتين، أما حاضرة نجد ومنها القصيم فقد توجهوا إلى الكويت بغرض البحث عن عمل. هذا من جهة الفقير المعدم، أما التجار فكان بهدف توريد منتجات جاءت عن طريق الخليج العربي من الهند وغيرها، فقد استقرت مجموعة من الأسر في أحياء الكويت العاصمة وتصاهروا مع أهلها. حيث نجد أسرا مثل: (الحجي، الشويرخ، والوهيبي. . . الخ) جميع هذه الأسر هي بالأصل من تجار عقيل.

بل تعدى أثرهم إلى الجانب العلمي حيث يذكر الوهيبي "أن محمد بن صالح الوهيبي وهو من مواليد بريدة١٢٧٠هـ، افتتح مدرسة أهلية عام ١٩١٦م" (الوهيبي، ١٤٣٥هـ، ص١٤٨هـ).

أما محطتهم الثانية بعد الكويت فكانت الزبير فهي بوابة العراق على الجزيرة العربية؛ ولهذا نشطت الحركة التجارية لدى العقيلات؛ فإلى جانب تجارة الإبل في العراق نجد أن هناك تبادلاً تجارياً بالسلع المختلفة نشط في حركتها "تجار القصيم الذين أثروا بنقل الحبوب إلى العراق وتوريد الأرز والملابس إلى نجد وتصدير السمن إلى مكة المكرمة (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص١٧١).

كما تعدت علاقة العقيلات بمدن العراق الجانب التجاري إلى العلاقات الاجتماعية حيث يروي العبودي أن جد العقيلي خليل الرواف وهو محمد العبد الله) قد ترك وقفاً في العراق (العبودي،١٤٣١، ج٨، ص ٢٢٨)، كما لم يكن استقرار العقيلات كأفراد بل تعداه إلى انتقال أسر بكامل أفرادها كأسرة الزمام. من جانب آخر امتد نشاط العقيلات خارج الكويت والعراق إلى بلاد الشام حيث نشطت تجارة الإبل في سورية، وعلى سبيل المثال كانت شركة البراك تشتري الإبل في فصل الصيف من سوق (العذراء) قريب من دمشق، ثم تصدرها إلى الأردن في الشتاء، فكانت هذه التجارة شبيهة برحلة الشتاء والصيف. "كما كان هناك سوق الجمال في دمشق يسمى (الزنبقية) وكان يؤم هذا السوق تجار العقيلات لبيع إبلهم أو لشراء الإبل، وكان حي الميدان قريباً من الزنبقية وفي هذا الحي قهاوي عقيل ومنها قهوة عائلة الطميغان من مدينة عنيزة، كان يؤمها التجار ويتداولون الحديث عن تجارتهم" (الرواف، ٢٠١٣م، ص٤٠). إذاً كان سوق دمشق عامراً بتجار القصيم بل إنه توقف وانشل تماماً عندما استنجد الشاعر العوني بالقصمان بقصيدة عصماء مشهورة معروفة بالخلوج يدعوهم فيها للوقوف ضد ابن رشيد في حربه ضد أهل القصيم، مما دعاهم إلى النفير، فنتج عنه إغلاق معظم المحلات التجارية. "كما نجد أن التجار الرئيسين للإبل في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م هم آل البسام من مواطني عنيزة الذين كانوا يديرون أكثر من نصف هذه التجارة. كما نجد تجاراً آخرين من ذوي الشأن مثل ابن رواف وعبد الله الحليسي وغيرهم من أهل بريدة يأتي هؤلاء التجار إلى أسوق دمشق بحوالي ثلاثمائة إلى أربعمائة ((رعية)) سنوياً أي حوالي ٢٤٠٠٠ إلى ٣٢٠٠٠جملاً (إبراهيم، ٢٠١٤م، ص١٦٠).

كما أقام بعض رجالات عقيل في نواحي سورية إقامة دائمة و"كان هناك تصاهر مع الأسر الشامية " (العبودي،١٤٣١هـ، ج٨، ص٢٢٣). كما كان هناك للعقيلات مناشط اجتماعية وخيرية "فقد أقام يحيى الشريدة مركزاً صحياً في الميدان بدمشق لمعالجة العقيلات بالمجان" (المعارك، ١٤٢٦هـ، ص٧٧).

أما المحطة الثالثة في تمدد العقيلات فكانت الأردن حيث يذكر العقيلي الحميضي: أن سوق عمان يشبه سوق الإبل في بريدة فقد كان يضج بالإبل من

بادية الأردن وغيرها، وكان تجار بريدة يعتبرون من كبار التجار، ويصل عددهم إلى مائة وخمسين تاجراً، واذكر منهم الرميح، أبا حميدة، الشماسي، يحيى الشريدة وإخوانه. . . الخ" (جزء من مقابلة معه في صحيفة الجزيرة، ١٤٢٢هـ ص٨). وتذكر بعض الروايات "أن أحد رجال عقيل أوقفته السلطات الأردنية وطلبت منه رسوما مضاعفة؛ لغناه الفاحش، فهدد بأن يحيل سوق عمان ليلاً إذا منعوه ؛كناية عن أن منعه من دخولها سوف يجعل السوق متوقفاً عن حركة البيع، وكأنه في فترة الليل، فتواصلت السلطات الأردنية مع الممثل الإنجليزي آنذاك، فقال: اقبلوا أي رسوم منه، وإياكم من منعه" مقابلة شخصية مع أحد أبناء عقيل (عبد الله بن علي الهبدان) وذلك في ١٤٣٧/٥/١هـ.

أما أسواق فلسطين فلم تكن من القوة بحيث يسجل العقيلات صفقاتهم التجارية فيها كما هي عليه الحال في العراق والشام؛ فقد كانت مدنها محط استراحة للعابرين من الأردن إلى مصر. خاصة أنه بعد احتلالها من قبل اليهود أصبح تجار عقيل هدفاً لجواسيس اليهود ونقاط المراقبة في الطرق؛ ولهذا اقتصرت نشاطاتهم على سباقات الخيل قبل الاحتلال. وفي مدينة غزة كان استقرار مجموعة من الأسر القصيمية فيها لمدة طويلة عادوا بعد توحيد المملكة وتحسن الأوضاع الأمنية والاقتصادية فيها وعلى سبيل المثال: عودة عبد الله الشبعان[7] إلى بريدة بعد عشرين سنة متواصلة كان منشغلاً في سباقات الخيل، أما والده محمد (رحمه الله) فقد مات ودفن في مقبرة غزة.

ثانياً: قارة أفريقيا:

اتخذ النشاط الاقتصادي لدى عقيلات القصيم في مصر اتجاهين: فكان النشاط الأهم هو بيع الجمال النجدية التي أحضروها معهم، وفيما بعد السودانية، على تجار ومزارعي وجزاري مصر،تلا ذلك نشاط بيع الخيول العربية الأصيلة.

ففي مجال تجارة الإبل نجد شركة البراك للاتجار بالإبل، كان يملكها سليمان البراك، وأبرز المناطق التي كان يسكنها أهل القصيم هي (بلبيس-المطرية-إمبابة القديمة- الهرم «كفر نصار» عرب الصوالح بجوار شبين-التل الكبير- الإسماعيلية- القنطرة) وعلى سبيل المثال كان هناك أسر تسكن في القنطرة مثل أسرة الرميح والمسلم، أما أسرة البراك فقد استقرت في بلبيس قبل الحرب العالمية الأولى.

أما نشاطهم في تربية الخيول والمشاركات في سباقاتها، فقد برز في هذا المجال العقيلي صعب الصعب الذي امتلك إصطبل خيول يضم أكثر من مائة من الخيول العربية الأصيلة للسباق والإنتاج، (انظر الوهيبي، ١٤٣٥هـ، من ص ٩٠-١١٣). وكدليل على تقدير قوة تجار عقيل في مدن مصر؛ "كان مندوب الحكومة السعودية يأتي لمصر في السنة مرتين لتحصيل الزكاة، وكان العقيلات

يستقبلون المندوبين وينزلونهم في فندق العتبة الخضراء في القاهرة" (المعارك، ١٤٢٦هـ، ص٦٠).

لم يقتصر نشاط رجال العقيلات على تجارة الإبل والخيول والمشاركة في المسابقات، بل تعداه إلى "الاشتراك في حفر قناة السويس من ٢٥ إبريل ١٨٥٩م، ١٦ نوفمبر ١٨٦٩م متعهدين في نقل الإمدادات والتموين بواسطة الإبل والخيول، وقد كافأهم الخديوي إسماعيل بإقطاعهم أرضاً في عين شمس والمطرية وحلمية الزيتون، فأقاموا عليها بيوتاً لهم وإصطبلات لتربية خيولهم. وكانت (إمبابة) مناخهم (موضع مبرك الإبل) وسوقهم المشهورة خارج حدود القاهرة القديمة"(الوهيبي، ، ص١٥٧). وبدون شك فإن إقطاعهم الأراضي في مصر شجع مجموعة منهم على الاستقرار ثم الزواج من مصريات.

ولم تكن إقامتهم في مصر مؤقتة يسكنون فيها الفنادق ودور الضيافة، بل بنوا بيوتاً ومساجدَ فقد ذكر الوهيبي "أن صالح المحسن أسس بيتاً في القنطرة الشرقية ومسجداً سمي باسمه (مسجد ابن محسن) ويضيف أنه في عام١٣٣٨هـ-١٩١٨م، اشترى صالح الحليسي أحد أكبر تجار العقيلات مساحات من الأرض في ضاحية الصالحية، وشيد عليها أحواشاً للإبل، ولخيوله، وديوانية وغرفاً للسكن يلتقي فيها بالقادمين، بل إن هناك شوارع سميت بأسمائهم مثل شارع (حجيلان)، وقد اشتهر صعب بالكرم وكان سكان منطقة عين شمس وكفر فاروق يصطفون أمام منزله للسقيا من البئر الموجودة في بيته (انظر الوهيبي، ١٤٣٥هـ، من ص٨٨-٩١).

أما العقيلي فوزان سابق الفوزان (١٢٧٥هـ- ١٣٧٣هـ) فهو أول مفوض للملك عبد العزيز في مصر، وكان يحل مشكلات تجار عقيل، وظل منزله لمدة أربعين عاماً موئلاً لأهل نجد وكان معنياً بالرعاية للسعوديين المقيمين هناك. ويقول المعارك: "يعطي ابن رميح في القنطرة ورقة مرور تسمى (جواز بن رميح) لدخول العقيلات لمصر ((بمقابل)) وتقبله السلطات المصرية ويعتبر وكيلاً للعقيلات بالقنطرة" (المعارك، ١٤٢٦هـ، ص٧٧).

وكانت المحطة الثانية لتجار عقيل في القارة الإفريقية هي دولة السودان، لكن دورهم لم يتعد تجارة الاستيراد فقط لكون السودان مصدراً لاستيراد الإبل إلى إمبابة في مصر. هذا وقد نشطت تجارة استيراد الإبل من السودان وبيعها في إمبابة؛ بعد إغلاق طريق فلسطين بعد الاحتلال. ومع ذلك لم يمنع هذا النشاط المحدود بعض تجار عقيل من أن يستقر هناك حيث لا يزال هناك أسر جذورها من القصيم تقيم في السودان، كأسرة الحجيلان في الخرطوم[8]

ولم يتوقف استيراد الإبل على السودان فقط بل يمم تجار عقيل وجوههم شطر دولة المغرب بهدف تأمين عدد من الإبل فقد ذكر العبودي نقلاً عن العقيلي (الحليسي) أن شركة البراك استوردت جمالاً من المغرب وكانوا يطلقون عليها جمال المغرب (العبودي، ١٤٣١هـ، ج٢، ص١٠١).

ثالثاً: أمريكا الشمالية:

"يعد العقيلي (فوزان السابق) -رحمه الله- أول من بدأ العلاقات السعودية الأمريكية في منتصف الثلاثينيات، حيث أهدى فوزان جواداً عربياً أصيلاً إلى رجل الأعمال الأمريكي تشارلز، فكان هذا الجواد مصدر إعجاب لدى سكان فرجينيا وغيرها من هواة الفروسية" (الوهيبي، ١٤٣٥هـ، ص١٤٦هـ).

وعندما كان فوزان السابق معتمداً للملك عبد العزيز كقنصل في القاهرة بدأت قصة اكتشاف النفط في المملكة من مكتبه في القاهرة (نفس المصدر، ص١٤٧). حيث استقبل عدداً كبيراً من الوفود الأمريكية بهذا الخصوص.

وقد عمل خليل الرواف في تصدير البضائع الأمريكية من الأقمشة إلى تجار في مدينة جدة، تلاه في التجارة عبد الله الخليفة الذي أصبح تاجراً في العلاج الشعبي، حيث كان يستورد ويصدر الأعشاب بين أمريكا والقصيم.

كما كان هناك تعاملات تجارية لتجار عقيل مع بعض الدول لكنها كانت محدودة مثل اليمن والهند وتركيا وليبيا وزنجبار، لكنها لا تتعدى كونها تجارب شخصية ولم تمثل قوة اقتصادية وعلاقات اجتماعية كما هي الحال مع الدول التي تم التعرض لها. فعلى سبيل المثال : العقيلي حمد العلي من أهالي عنيزة استقر في مدينة بيون قرب بومباي وتزوج بهندية أنجبت له إبراهيم في ١٩٢٥م، وكان له دور في تأسيس العديد من المؤسسات الثقافية وأصبح من أساتذة الدراما بالهند (الشبيلي،٢٠١٤م،ص١).

هذا النفوذ التجاري الذي صنعه رجال عقيل في هذه الدول وهذا الدور الحيوي ألقى بظلاله على القصيم وأهله سواء في أثناء تردد هذه القوافل بين القصيم ومجالها الجغرافي في تلك الدول أوبعد عودة تجار العقيلات واستقرارهم في القصيم بعد توقف نشاطهم . هذا التأثير ساعد من وتيرة تمدن أهل القصيم وانفتاحهم على تلك الحضارات وألقى حجراً في مياه القصيم الراكدة فنشطت أسواقها وراجت تجارتها ومازال أهل القصيم إلى يومنا هذا يعيشون انفتاحاً اقتصادياً على العالم يعتبرونه امتداداً لنجاحات أجدادهم من تجار عقيل.

تأثير العقيلات في حياة السكان في القصيم:

التأثير الاقتصادي:

أولاً: تأثيرهم في المزارع :

كانت معظم حركة البيع والشراء في السوق تتم بالاستدانة ولهذا فإن البائع تنقصه السيولة، وبفتح منافذ مع الأسواق العالمية أصبحت هناك سيولة بأيدي الناس وأصبح لديهم قدرة على الشراء، لتوفر العملة الصعبة، وكذلك أصبح

هناك تصدير لمنتجات القصيم للأسواق العالمية، وأيضاً وردت لأسواق حواضر القصيم سلع ومصنعات من الهند والشام على وجه الخصوص؛ وهذه مصنعات تجذب المشتري إلى اقتنائها. وعلى سبيل المثال استيراد شركة الراشد لمعدات زراعية متقدمة في السبعينيات الهجرية في مزارعهم في الدغمانيات شمال بريدة.

ثانياً: تأثيرهم على بادية القصيم:

حاجة تجار عقيل للإبل والأغنام ومنتجاتها من سمن وغيره بهدف تصديرها للخارج زاد من حركة أسواق حواضر القصيم بقدوم البادية إليها للتسويق؛ وزاد من نجاح هذه العلاقة الاقتصادية بين الحاضرة والبادية عقد الأحلاف مع معظم قيادات القبائل من قبل تجار عقيل وتزايد الثقة فيما بينهم، وهذا مما دفع بحركة البيع والشراء في السوق؛ وقد ترتب عليه تحسن الأوضاع الاقتصادية لدى البادية المحيطه بمدن القصيم.

ثالثاً: تأثيرهم في مشاريع التنمية:

بعد تطور ممارسات العقيلات الاقتصادية متأثرة بالعالم الخارجي، أصبح لدى تجار عقيل قدرة على تأمين رأس مال يبنى عليه مشاريع اقتصادية مستقبلية. ولهذا أصبح هناك نقلة اقتصادية يمكن عن طريقها نقل المجتمع من الائتمان الاجتماعي إلى الائتمان النقدي، والأولى تحتاج لمصداقية وحرفية وثقة عالية، أما الائتمان النقدي فهو بحاجة للثقة بأن الأموال المودعة يمكن سحبها في أي وقت ومن أي فرع، وهكذا لم تنقطع علاقة تجار عقيل بتحضر وتنمية القصيم حتى بعد توقف الرحلات التجارية بواسطة الإبل، فقد تحول نشاطهم إلى إقراض مشاريع حيوية وعلى سبيل المثال إنشاء شركة كهرباء بريدة، بل ومحاولة بناء أجزاء من السيارات في بريدة. كما أسهمت هذه المصارف في إقراض وتطوير المزارعين في منطقة القصيم على وجه العموم.

التأثير الاجتماعي:

أولاً: تفعيل المجتمع في استثمار الموقع والتكيف مع البيئة:

برز أثر العقيلات في مجتمع القصيم في لفت عنايته في استثمار الموقع الجغرافي القاري للقصيم في كونه اختص بالرحلات التجارية البرية خلافاً لبقية المناطق الأخرى. كما أن تفاعل المجتمع المحلي مع الطبيعة يعطي إشارات جديدة عن النظام المعرفي له، فربط رحلاتهم بالمواسم ونوع المحصول الملائم للبيئة بأقل التكاليف وطريقة تخزين التمور وتجفيف اللبن واللحوم وصهر الشحوم وتصديرها، كل ذلك إشارات على تكيف المجتمع وتفاعله مع بيئته، وحتى انتقال رجالات عقيل واستيطانهم في (الزبير) بالعراق كان مما أعانهم

على التكيف في بيئتها؛ لكونها تتقاسم مع القصيم بعض نواحي الشبه كقسوة البيئة التضاريسية وشدة الحرارة.

ثانياً:التصاهر والعلاقات الاجتماعية:

((نجد تلد والعراق تغذي)) هذا المثل النجدي يختصر حقيقة أن المهاجرين من القصيم يستقرون في العراق، ومثلما تأثر الزبيريون بالعقيلات، نجد أن العقيلات تأثروا بهم، وكان من أبرز قنوات التأثر عن طريق التصاهر بين العراقيين والعقيلات. امتد ذلك إلى الشام و مصر، حيث تزوج مجموعة من العقيلات من نساء من تلك الدول، وعلى الرغم من بقاء مجموعة من هذه الأسر المختلطة في النسب في هذه الدول؛ إلا أن مجموعة أخرى عادت إلى القصيم واستوطنته من جديد. فكان التأثير واضحاً للأسر التي عادت، فنجد أن هناك اختلافاً في الشكل أو حتى في الطباع وأسلوب الحياة؛ عزز من هذا التأثر استمرار المصاهرة بين أبنائهم و الزيارات فيما بينهم وبين الأقارب ممن استقر في تلك الدول واحتفظ بعلاقاته مع أهل القصيم.

ثالثاً: تأثيرهم بالعادات والتقاليد:

فقد تأثروا من واقع استقرارهم بهذه الدول ونقلوا جوانب من حضاراتها وعاداتهم ومن ذلك يذكر ابن عبيد: " أنه في عام ١٢٨٢هـ أن رجلاً من العقيلات أحضر ساعة معه للقصيم، وقد وُشي به إلى الأمير حسن وقيل إنه يحمل صنماً حيث وجّه الأمير بالقبض عليه؛ لأنهم لا يعرفون الساعة" (ابن عبيد،بدون تاريخ، ص١٥٠)، وقد وصف الرحالة داوتي في رحلته أعيان بريدة بأنهم يتزينون بزي بلاد العراق. . . ويزيد داوتي فيقول:"لقد أدركت أن الإنسان يمكن أن يعيش هنا في بريدة كما يعيش في بلاد الرافدين مع فارق واحد وهو عدم وجود مقاهي عامة. ولاحظت أيضاً أن بعض نساء بريدة يعملن في بيع الخضروات وأجد هنا أن دمشق ليست بمثل هذا التحضر، أما عن وصفه سوق عنيزة فيقول: تتنوع السلع من العباءات والقماش وما إلى ذلك من قطع الملبوسات التي تجلب من بغداد، وقد لاحظ أن أغنياء عنيزة يضعون على رؤوسهم الطرابيش المغربية، ويرتدي بعض رجالاتها عباءات الصوف وهي غزل عراقي، ويضيف بأن القوافل تأتي إلى عنيزة بكل شيء حتى الأدوية الإنجليزية من الهند عبر الخليج، كما لاحظ وجود الصابون السوري بين المبيعات " (انظر إبراهيم، ٢٠١٤، من ص١٦٧-١٦٩) نقلاً عن الرحالة: داوتي)، ومن وصف هذا الرحالة يتبين أن العقيلات خلف هذه النقلة الحضارية ليس فقط في إدخال هذه السلع وتوفير العملة الصعبة في السوق، بل باستعمالهم لها فقد رأينا أن سكان القصيم يرتدون ملابس صنعت في العراق أو الشام ويضعون على رؤوسهم الطرابيش المغربية.

الخاتمة:

عرف سكان القصيم بحب المغامرة وركوب الصعاب والسياحة في الأرض وعدم الرضى بحياة الكفاف، وقد كانت القصيم ذات واحات زراعية توفر الحد الأدنى من العيش للحاضرة والبادية على حد سواء. هذا المجتمع التقليدي القابع أغلبيته في واحات في بطون الكثبان الرملية التي كان الرحالة يتحاشون دخولها في أغلب الأحيان خاصة غير المسلمين منهم، هذا المجتمع الحضري الذي لم تبن وشائجه على خيوط القبلية الضيقة ،كان متوثباً لينفتح على العالم ويقيم قنوات جديدة مستثمراً موقعه الجغرافي الذي يتوسط طريق الحج.

انطلقت رحلات العقيلات تستمد وقودها من الرصيد الأخلاقي في التعامل، وتصر على ركوب الصعاب إلى مجتمع حضري تجمعهم المصلحة المشتركة وليس ثقافة القبيلة المرتبطة بالأرض المحددة المعالم عرفياً؛ فكانت معطيات النجاح متوفرة في هذا المجتمع الذي تمدد عن طريق القوافل التجارية وربط جميع الجهات الأصلية للجزيرة العربية بقلبها.

ليست نتائج هذه الدراسة هي حصد لإحداث تاريخية فحسب، وإنما هي دراسة لمشروع تجاري أخلاقي قام في بيئة صحراوية تفاعل أهلها واتفقوا على التحدي. نتائج نجاح العقيلات لم يكن يحصد فقط في تلك الفترة وإنما امتد ليكون واقعاً ملموساً في المجتمع القصيمي النامي،بل إن ثقافة العقيلات التجارية تمثل الآن ثقافة استثمارية لسكان القصيم وتمتد مناشطها حتى خارج القصيم، نجدها قد أخذت مكانها الآن كنشاط استثماري في العقارات في تركيا والبوسنة ومصر وفي المجال الزراعي في السودان على وجه التحديد، وفي الاستيراد من الصين وألمانيا ...الخ . إذاً أحفاد العقيلات الآن يعيدون التاريخ نفسه ومن هنا نجد أن مشروع رحلات العقيلات يمثل سيناريو يتكرر كل فترة من الزمن ولكن بطرق وأساليب أحدث، مما يجعلنا نقول هنا إنهم أي أحفاد العقيلات امتداد لآبائهم ويتحركون في نفس المجال الحيوي الإقليمي ولكن بتقنية آخذه بأساليب الحياة المتطورة .

أولاً: النتائج:

١-كانت الزراعة في القصيم غير مشجعة نتيجة للتكاليف الباهظة الناتجة عن صعوبة استخراج المياه، وتعرض المزارع للسلب من قبل الخصوم وفتك الجراد بالمحاصيل في بعض المواسم، وفوق ذلك كله كان المزارع إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري ملزماً بدفع الضرائب للحكومة. إلا أن القصيم مثلت منذ القدم مصدراً رئيساً للثروة الحيوانية الجيدة من الإبل والخيل والأغنام، وذلك لتوفر البساتين التي ترعى فيه الخيول، ولطيب براريها كمراعي للإبل والأغنام؛ مما شجع رجال عقيل بالتجارة بالثروة الحيوانية ومنتجاتها بالدرجة الأولى.

٢- أعقبتْ الأحداث التاريخية والصراعات في القصيم كسادا اقتصاديا ؛ مما اضطر الكثير إلى الهجرة إلى بغداد والشام، وكونوا في البداية قوافل لنقل التجارة، وكوْنُ هذه المجموعة -من المهاجرين

٣- لم تخض هذه الحروب؛ نتج عنه اتجاهها للتجارة في بلد المهجر دون النشاط العسكري خاصة وأنها خرجت في ظروف اقتصادية صعبة يمر بها أهلهم بالقصيم مما جعلهم يعملون بالتجارة ليستطيعوا توفير لقمة عيش لأقاربهم الذين لم يتمكنوا من الهجرة.

٤- يتحكم في توجيه خط سير رحلات العقيلات بالدرجة الأولى التوزيع الجغرافي لموارد المياه، ومدى جدوى وجاذبية الأسواق الخارجية؛ فهذه الموارد التي يمر عليها تجار عقيل للتزود بالماء منها، قد رسمتْ –أي: مواقع هذه الموارد- خط سير العقيلات. وتمثل هذه الموارد شريان الحياة الرئيس خاصة في فصل الصيف.

٥- مثلت الظروف المناخية من درجة حرارة، وأمطار ورياح عقبة في طريق قوافل العقيلات، كما أن الظروف الطبيعية من أنهار وبحار كثبان رملية هي الأخرى مثلت صعوبات أخرى إلا أنها لم توقف تحركات قوافل العقيلات طوال العام.

٦- أدَّت در جات الحرارة دوراً مؤثراً في تحديد تحركات العقيلات لتسويق إبلهم؛ ففي الأردن وفلسطين تتم حسب فصول السنة، فيقضي العقيلي الشتاء في غور الأردن لقلة البرودة مقارنة مع المناطق المرتفعة في الأردن، وإذا حلّ الصيف تحرك العقيلي إلى فلسطين حيث تبدأ أسواق الإبل.

٧- من الصعوبات التي كان يلاقيها العقيلات الضرائب التي يدفعونها للقبائل مقابل السماح لهم بالمرور بأراضيهم، يضاف إلى ذلك رسوم الدخول لبعض الدول وعبور الجسور فوق الأنهار،كما أن الجوع والخوف هي الأخرى تحديات كانت تضاعف من معاناتهم الاقتصادية.

٨- من أبرز الدول التي قصدها العقيلات لجودة أسواقها هي (العراق، الكويت، سورية، الأردن، فلسطين، مصر) أما السودان، المغرب) فكانت أقل جاذبيه ويقصدونها في حالة اضطرارهم لها، كما وصلوا إلى (تركيا وزنجبار وغيرهما) لكنها كانت تجارب فردية.

٩- لم يقتصر دور العقيلات في بلاد المهجر على النشاط التجاري، بل تعداه إلى التبادل الثقافي مع المجتمع الجديد، مؤثرين بنشر تعاليم الإسلام السمحة، وناقلين لجوانب حضارية مشرقة للقصيم؛ ساعدت على التفاهم الحضاري بين المجتمعات آنذاك.

١٠- كان للعقيلات تأثير بارز على الحاضرة من مزارعين والبادية من رعاة على حد سواء؛ فقط نشطت أسواق حواضر القصيم نتيجة للمصلحة الاقتصادية

بين الطرفين وتوفير السلعة والسيولة، وهذا من نتائج فتح منافذ تسويقية مع العالم الخارجي.

١١- تحول نشاط تجار العقيلات بعد توقف قوافلهم إلى نشاط إقراض مالي لإقامة مشاريع تنموية في المنطقة، مما أسهم في تنمية القصيم، وهذا التأثير امتد إلى يومنا هذا.

١٢- اتصال العقيلات بالعالم الخارجي كتجار أو ذوي علاقات اجتماعية فيما بعد مع مجتمعات تلك الدول، أسهم ذلك كله في نقل عادات وتقاليد وصور حضارية إلى مجتمع القصيم التقليدي مما ساعد في انفتاحه في تلك الفترات.

ثانياً: التوصيات:

١- اشتملت بعض مغامرات العقيلات، على مادة علمية موثقة تحكي نشاطاتهم التجارية وحياتهم الاجتماعية في القصيم وبلاد المهجر، وترى هذه الدراسة أن على وزارة الإعلام أو حتى المعنيين في الدراما والمسلسلات في القطاع الخاص بأن يحاكوا هذه الأحداث المثيرة بمونتاج إعلامي احترافي.

٢- على الرغم من أهمية الجهود الشخصية التي قامت بتخصيص متحف يحوي تراث العقيلات كمتحف العقيلات الخاص بعبد اللطيف الوهيبي في بريدة، فإننا لا نجد مؤسسة حكومية ترعى هذا التراث، وترى هذه الدراسة أن تتجه الهيئة الوطنية للسياحة مثلاً، بمتابعة إنشاء هيئة وطنية مدعومة تعنى بتراث العقيلات.

٣- لا يزال هناك بعض كبار السن على قيد الحياة والذين شاركوا رحلات العقيلات في شبابهم أواخر عصر العقيلات، وترى هذه الدراسة أهمية توجيه العناية بتوثيق مذكراتهم صوتياً، ولعل دارة الملك عبد العزيز هي معنية بهذا الشأن.

٤- مازالت هناك جوانب علمية غير الجانب التاريخي والجغرافي لم تدرس وعلى سبيل المثال الجانب العسكري أو الاجتماعي في حياة العقيلات، ويُقترح أن يقوم المختصون في الاقتصاد بتسليط الضوء على هذه الجوانب.

٥- سلك رجال عقيل طرقاً مختصرة في الوصول إلى الأسواق العالمية، وترى هذه الدراسة أن تستفيد وزارة الطرق من هذه الخبرات عند إنشاء الطرق في هذه الاتجاهات.

٦- تجار عقيل لهم دور في العناية في تربية الخيول العربية الأصيلة كما دلت علية وثائق سباقات الخيل، وعلية ترى الدراسة تخصيص جائزة سباق تخلد ذكر العقيلات في هذا المضمار.

٧- لاحظ الباحث قلة المصادر الاجنبية التي كتبت عن العقيلات، وترى الدراسة أهمية العناية بترجمة مادة علمية عن العقيلات تكون في متناول غير العرب من باحثين أو سياح.

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

١-إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني (٢٠١٣م) روايات غريبة عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، ج٢ ١٨٥٠-١٨٨٠، دار الساقي، بيروت، لبنان.
٢-ابن بشر عثمان (بدون تاريخ) عنوان المجد في تاريخ نجد، الناشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
٣-البشر، محمد بن عثمان (١٤٣١) حب الحصيد، ج٢ غير محدد مكان الطباعة.
٤-الجخيدب، مساعد بن عبد الرحمن (١٤٢٢هـ) أحجام المراكز الحضرية وامتداد أقاليمها الوظيفية بمنطقة القصيم، سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (٣٨) المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام، عمادة البحث العلمي، مطابع جامعة الأمام، الرياض.
٥-الحليسي، نواف بن صالح (١٤١٧هـ) (عصر العقيلات) من تراث نجد مع قوافل تجارة العقيلات(١)، الجذور العربية في مصر والشام والعراق قطوف على هامش قصصهم في مهاجرهم، مطابع التقنية للأوفست، الرياض.
٦-الدغيثر، دغيثر بن عبد الله (١٤١٩هـ) المختار من القصص والتاريخ والآثار، ط٢ (بدون ذكر دار النشر).
٧-الربدي، محمد بن صالح (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م) التاريخ الديموغرافي لمدينة بريدة. تغير حجم السكان ٩٨٥-١٤٣١هـ (١٥٧٧-٢٠١٠م) ونموهم حتى عام ١٤٧٢هـ (٢٠٥٠م). دراسات جغرافية ٢٤، سلسلة محكمة دورية تصدرها الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.
٨- العبودي، محمد بن ناصر (١٤٣١هـ-٢٠١٠م) معجم أسر بريدة، ج١٤، الناشر دار الثلوثية، الرياض.
٩-العبيد الله، علي (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) رحيلية عنيزة في ذاكرة الشيخ علي العبيد الله، غير محدد مكان الطبع.
١٠- العمرو (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) بريدة في عهد إمارة حجيلان بن حمد آل بوعليان (١١٩٤-١٢٣٤هـ-١٧٨٠-١٨١٨) أطروحة علمية، قدمت لجامعة القصيم للحصول على درجة الماجستير في التاريخ.
١١- العمري، محمد الحسني (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر عام ١٣١٤هـ.
١٢- المسلم، إبراهيم (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) العقيلات، ط٢، مكتبة العقيلات، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٣- المسلم، إبراهيم (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م) رحلتي مع العقيلات، ط٣، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٤- النصار، فهد (١٤٣٧هـ) عودة الإنتاج القصيمي مدخل ثقافي اقتصادي ، مقال لم ينشر بعد.
١٥- الوليعي، عبد الله بن ناصر (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) البنية الجيولوجية والتضاريس، ضمن بحوث الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي ج٣ (القسم الأول) المملكة العربية السعودية الرياض، طبع ببناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، مطابع جامعة الإمام، الرياض.
١٦- الوهيبي، بدر بن صالح بن محمد (١٤٣٥هـ) الخيل في حياة العقيلات، (بدون إشارة لدار الطباعة).
١٧- الوهيبي، عبد اللطيف بن صالح (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م) العقيلات، تحت الطباعة، ج.١
١٨- اليحي، أحمد بن حمد (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) السكان والاقتصاد والعمل قبل قرن في جزيرة العرب دراسة اجتماعية اقتصادية لأنشطة سكان أقاليم البلاد خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي وقبل تاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م)، (بدون اسم دار الطباعة، الرياض).
١٩- باشا، غلوب (٢٠٠٥م) مذكرات غلوب باشا حياتي في المشرق العربي، ترجمة: جورج حتر و فؤاد فياض،
٢٠- روسو، لوي جاك (٢٠١٠م-١٤٣٠هـ) رحلة إلى الجزيرة العربية سنة١٨٠٨م، ترجمها عن الفرنسية الأب د. بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.
٢١- رياض،محمد و عبد الرسول، كوثر(١٩٧٣م) الجغرافيا الاقتصادية، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٢- سميث، م ديفد (٢٠١٣م) الجغرافيات الأخلاقية المنظومة الأخلاقية في عالم الفوارق، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية وجدة، سلسلة ترجمات المركز (٢) وحدة الترجمة بالمركز قسم اللغة الإنجليزية، وجدة، المغرب.
٢٣- صحيفة الجزيرة، الأحد ١٤٢٢/٨/٥هـ، العدد ١٠٦١٥.
٢٤- كحالة، عمر رضا (١٤١٤هـ) جغرافية شبة الجزيرة العربية، لم يحدد مكان الطباعة.
٢٥- هوبير، شارل (٢٠٠٣م) رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢) الحماد، الشمر، القصيم، الحجاز، ترجمة أليسار سعادة، دار كتب، بيروت، لبنان.

ثانياً المراجع غير العربية:

1- :بتكلا :

-Cohen,L and Manion,L (1996) Research Methods In Eduction, London and New York, Rout ledge, London.

-Ganderton,P (2000) Mastering Geography, Macmillan Master Seres, London.

-Rapport,N and Dawson, A (1998) Migrants of Identitity Perceptions of Home in a World of Movement,London.

Stephen,Castles and Mark J, Miler (1998) The Age of Migration, London

٣: موقع على الشبكة العنكبوتية:

-السويداء (بدون تاريخ) عقيلات الجبل

- Alshobaily , A (2014) in http//www, arbnews.com/news/527851

المقابلات:

١ - مقابلة شخصية مع إبراهيم الحجيلان من أحفاد العقيلي الحجيلان الذي استقر في الخرطوم. بتاريخ (١-٣-١٤٣٧هـ).

٢- مقابلة شخصية مع عبد الله بن علي الهبدان أبن العقيلي علي وذلك بتاريخ ١٤٣٧/٥/١هـ.

٣- مقابلة مع العقيلي نواف الحليسي عبر الهاتف في ١٤٣٧/٤/٢٠هـ

الهوامش:

١- لم يكن هناك آبار إرتوازية عميقة في تلك الفترة.

[2] كان في بريدة على سبيل المثال عيون تجري دون مكائن سحب وهي منتشرة في كل الاتجاهات وقد زرتها قبل ١٤٠٠هـ، لكنها جفت جميعاً بعد التوسع في زراعة القمح وحفر الآبار الإرتوازية ومازلت أذكر منها (عين هوطان، الدغمانية، الجربوع، العين الباردة، عين عطيشان، عين بسيس، عين الذيب، عيون الهدية. . . الخ).

[3] البعل: أي أن الناس يرمون حب القمح في الأرض قبل موسم الأمطار فينبت القمح إثر نزول الأمطار.

[4] السواني: تستخرج المياه عن طريق جر الدلاء بالجمال.

[5] سميت بمعركة المطر؛ لأن أهل عنيزة كانوا يستعملون في حربهم بنادق ترمي عن طريق إشعال الفتيل، إلا أنه في ذلك اليوم هطلت أمطار غزيرة أطفأت

النيران التي كان يشعل منها فتيل البنادق، ولهذا كان العامل الجغرافي من الأمطار تكفل بتغيير كفة المعركة وهزيمة الجيش الذي كان يستعمل هذا النوع من البنادق.

[6] يقصد العقيل.

[7] العقيلي عبد الله الشبعان هو: جد الباحث. (انظر صورة وثيقة دخوله فلسطين في الملاحق).

[8] مقابلة مع إبراهيم الحجيلان من أحفاد العقيلي الحجيلان الذي استقر في الخرطوم. بتاريخ (١-٣-١٤٣٧هـ).

الملاحق:

أولاً: أسئلة المقابلات:

س١: في رأيك ماهو الدور الاقتصادي الذي كان يمارسه رجال عقيل؟
س٢: ماهي الآثار التي نقلها رجال عقيل للقصيم ؟
س٣: ماهي الصعوبات الطبيعية والبشرية التي وقفت أمام رجال عقيل وكيف تم التغلب عليها؟
س٤ : صف لي الطرق التي كان تجار عقيل يسلكونها؟
س٥: ماهي أبرز الأسواق التي كان العقيلات يقصدونها، ومانوع البضاعة؟

ثانياً: الوثائق:

١- مداينة في عام ١٣٤٢هـ في بلبيس في العملة الفلسطينية بين أحد تجار بلبيس مع أحد تجار رجال عقيل (محمد بن عبد الله عبد الكريم الشبعان).

٢- تعامل مع البنك العثماني فرع القاهرة في العملة الانجليزية في ١٩٣٠م.

٣- عقد اتفاقية شراكة بين بعض رجلات عقيل في ١٣٤٠هـ

٤- صورة جواز سفر لعبور أحد (رجلات عقيل) حدود بعض الدول العربية.

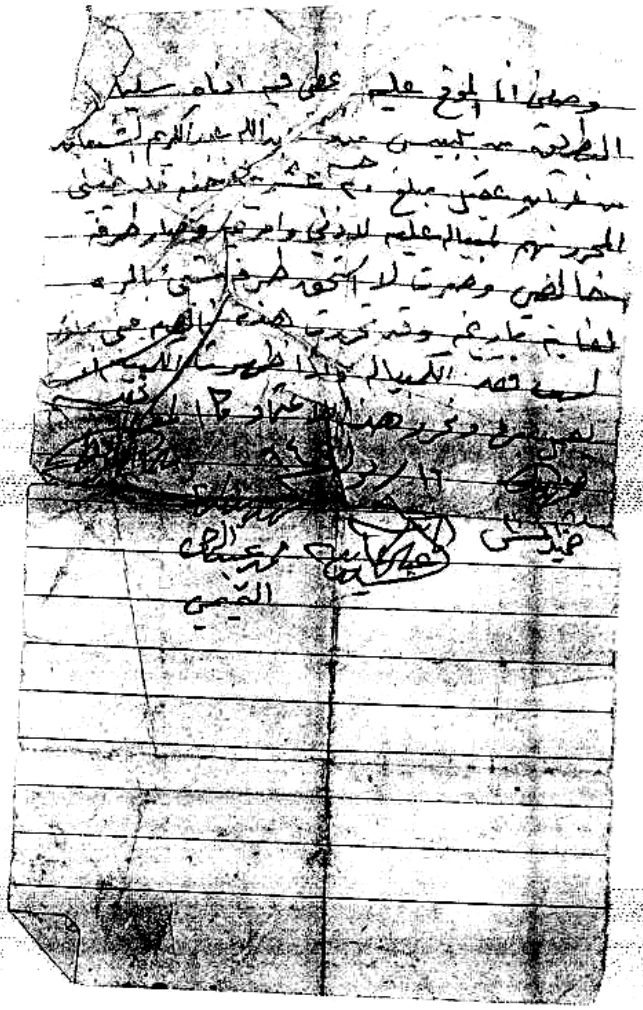

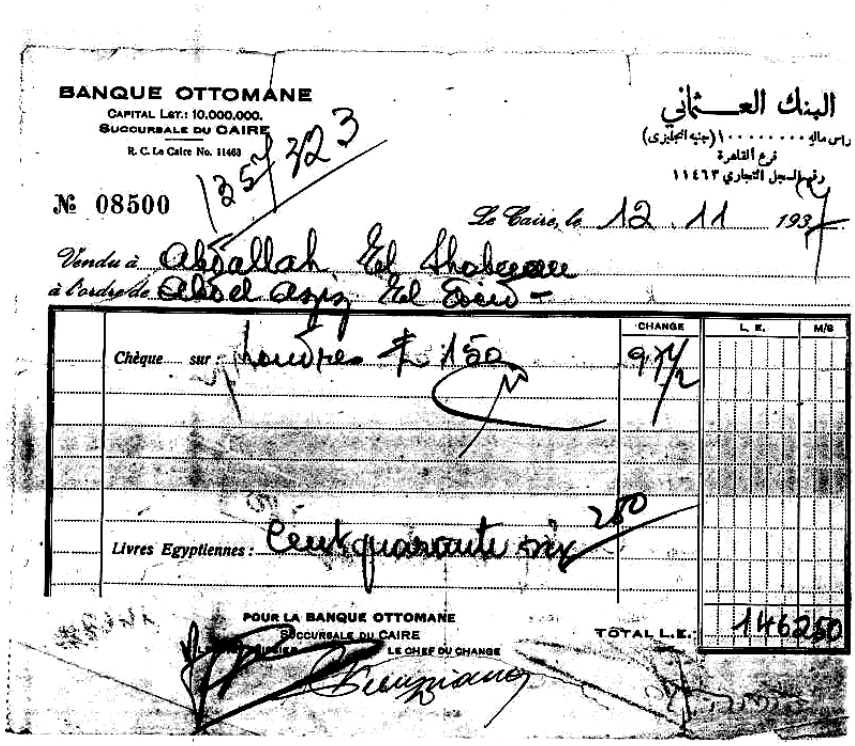
BANQUE OTTOMANE
CAPITAL LST.: 10.000.000.
SUCCURSALE DU CAIRE
R. C. Le Caire No. 11463

البنك العثماني
رأس مالو ١٠٠٠٠٠٠٠ (جنيه انجليزى)
فرع القاهرة
رقم السجل التجاري ١١٤٦٣

№ 08500

Le Caire, le 12.11.193

Vendu à Abdallah El Shabrawe
à l'ordre de Abd aspy El Deen

Chèque sur : Londres £ 150

CHANGE 9 1/2

L. E. | M/S

Livres Egyptiennes : Cent quarante six 250

146250

POUR LA BANQUE OTTOMANE
SUCCURSALE DU CAIRE
LE CHEF DU CHANGE

TOTAL L.E.

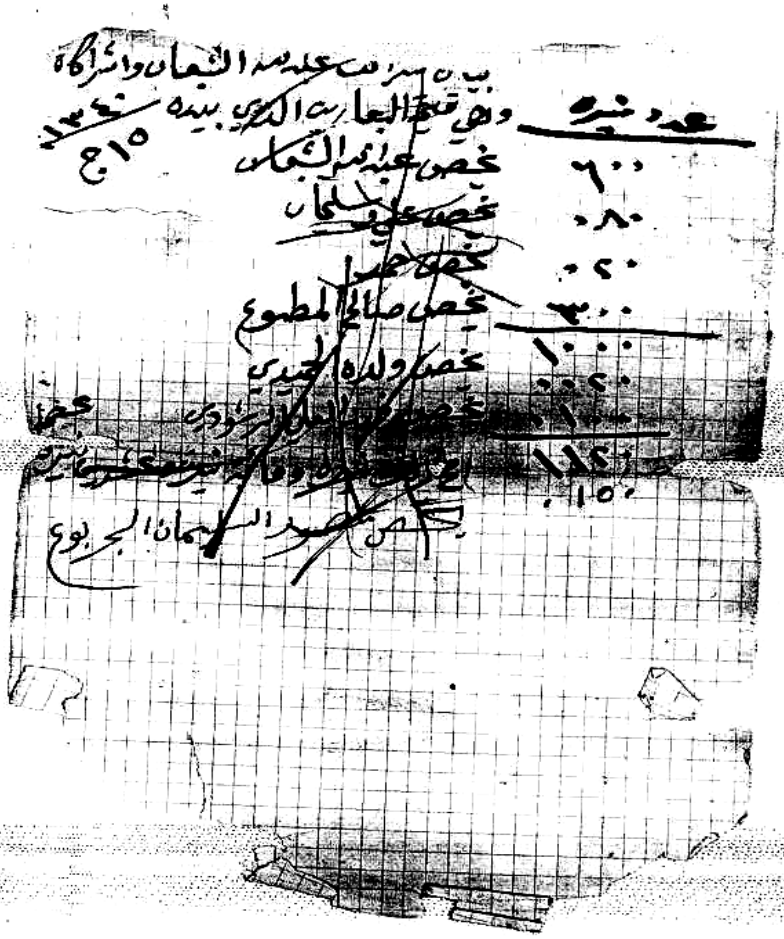

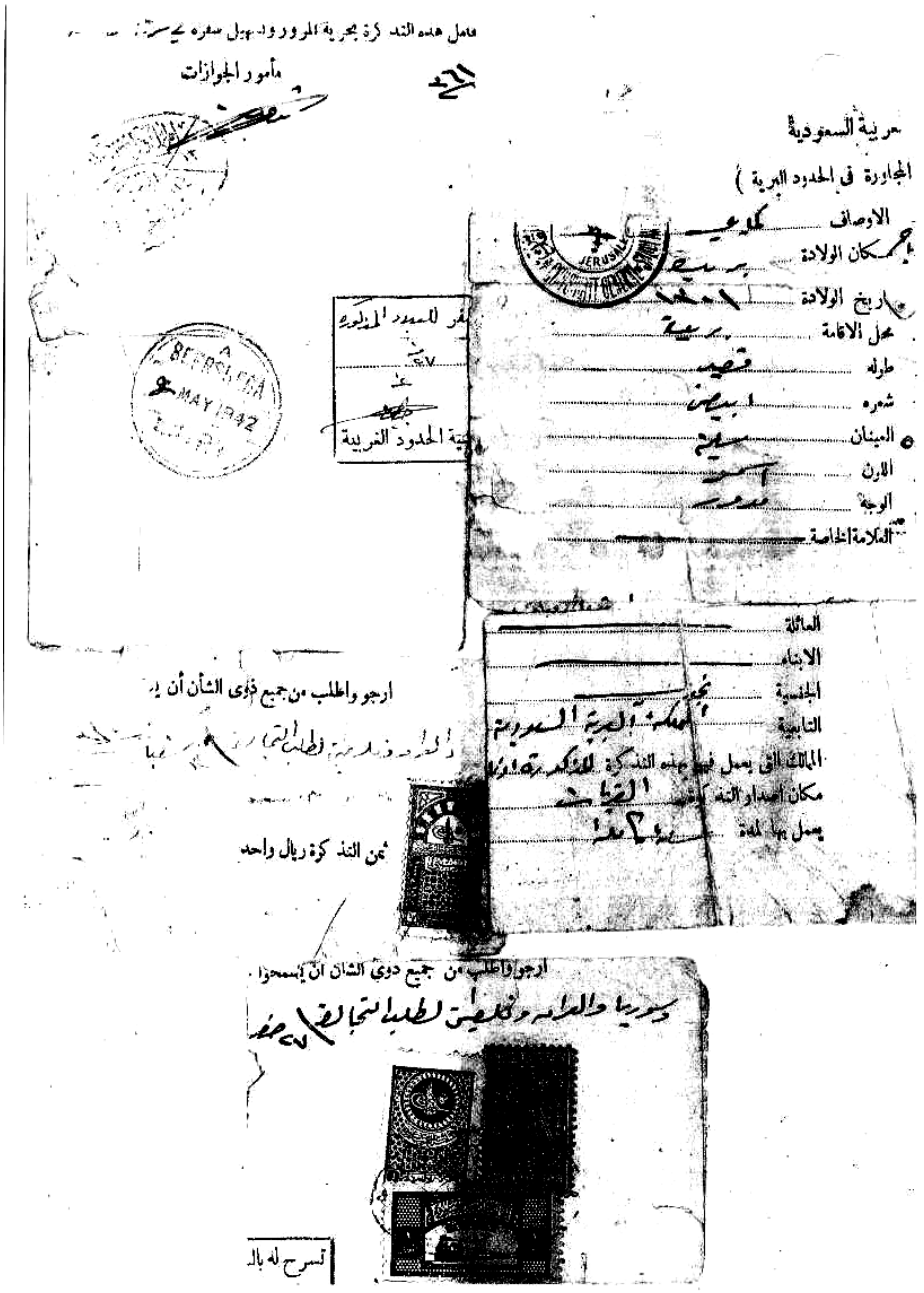
مأمور الجوازات
عربية السعودية
المجاورة في الحدود البرية)
الاوصاف
مكان الولادة
تاريخ الولادة
محل الاقامة
طوله
شعره
العينان
الانف
الوجه
العلامات الخاصة
العائلة
الابناء
الجنسية
التابعية
المالك الذي يعمل فيها هذه التذكرة
مكان اصدار التذكرة
يعمل بها لغاية
ارجو واطلب من جميع ذوي الشأن أن
ثمن التذكرة ريال واحد
ارجو واطلب من جميع ذوي الشان ان يسمحوا
تسرح له بال